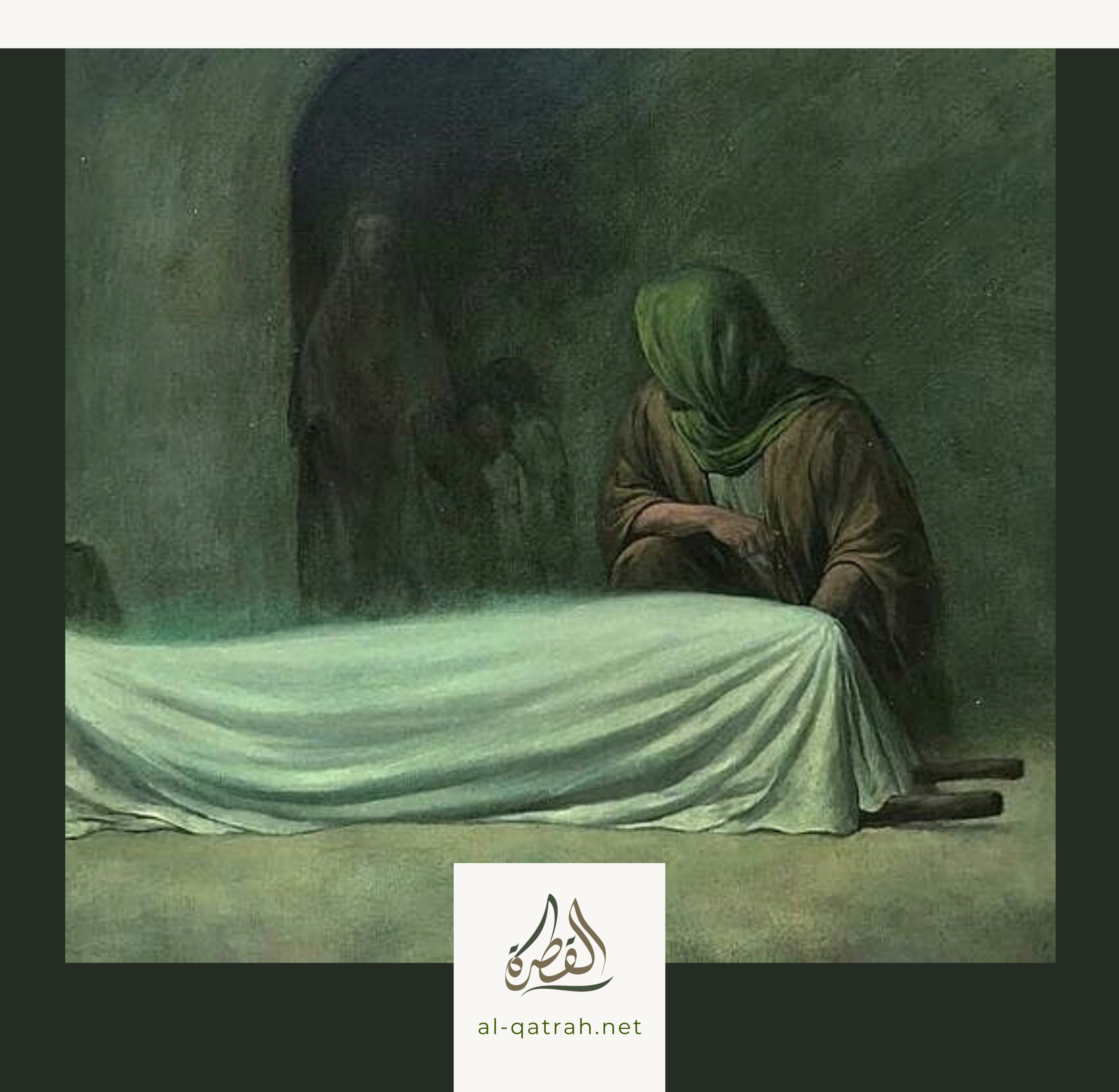
عائشة بنت أبي بكر
قاتلة الرسول صلّى الله عليه وآله



القطرة

al-qatrah.net



موقع رؤى ومحاضرات الشيخ الحبيب

al-qatrah.net


alqatrah@gmail.com


@Sheikh_alHabib


syalhabib


+447999997975


+441753355355

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلاةُ والسَّلامُ عَلىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبينَ الطّاهِرينَ وَلَعْنَةُ اللهِ عَلىٰ أَعْدائِهِمْ أَجْمَعينَ



تقديم

هذا الكتيب مقتبس من كتاب (الفاحشة الوجه الآخر لعائشة) للشيخ الحبيب ويتضمن تفاصيل اغتيال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بالسم من قبل عائشة وحفصة وأبويهما لعنهم الله.

ومن الله نسأل القبول.

قاتلة الرسول صلى الله عليـه وآله[١]

مَن يقف على سيرة عائشة يستشعر أنها كانت امرأة ذات طموح جامح في أن تكون في الصدارة والمحور، لهذا سعت وأبوها لأن تتزوج بنبي الله (صلى الله عليه وآله) إذ رأياه سلطان ذلك الوقت الذي لا بد من اغتنام ما لديه. وكانت آمال عائشة منعقدة على أن تحظى عند هذا النبي (صلى الله عليه وآله) بما يجعلها (سيدة أولى) لا تنازعها في المنزلة امرأة أخرى، بل ولا رجل آخر، وكانت تنتظر منه أن يستنزل آيات في مدحها، وأن يطلق أحاديث في الثناء عليها، وأن يجعل لها شأناً عظيماً ومقاماً رفيعاً، إلا أنها حين لم تجده يتجاوب مع رغباتها تلك تحوّلت إلى إيذائه وتعكير صفو حياته والتظاهر عليه حتى أنزل الله تعالى في ذمّها وتهديدها قرآناً يُتلى كما سبق بيانه في الفصل الثالث من كتاب الفاحشة.

---

(١) من الفصل الخامس من كتاب الفاحشة ص٧٦٩

قد غاظ الحميراء هذا التجاهل المتكرر من قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) لطموحاتها، فقد كانت تتوقع منه أن يفضّلها ويشرّفها فإذا به يجعلها كسواها حبيسة بيته وحَشِيَّةً من حشاياه ليس إلا، بل فضّل عليها غيرها كخديجة وأم سلمة ومارية عليهن السلام، وقام في الناس آمراً وخطيباً مرّات ومرّات يجهر بفضل فاطمة وبعلها وبنيها عليهم السلام، ويوجب على أمته التعبّد بمحبتهم وموالاتهم، والانقياد لهم، والصلاة عليهم في كل صلاة، وتقديمهم على الأنفس والأولاد والأموال، أما هي وأبوها فلا ينالان شيئاً من ذلك!

وكان من عادته (صلى الله عليه وآله) الإقبال على فاطمة وعلي (عليهما السلام) بما يوغر صدرها حسداً وحقداً، فلا يخرج مسافراً إلا انتهى بفاطمة، ولا يَقْدِمُ إلا بدأ بها، وهو يصفها ويعبّر عنها «ببضعة

مني»[١] تارةً، و«نور عيني»[٢] تارةً أخرى، و«ثمرة فؤادي»[٣] ثالثةً، و«روحي التي بين جنبي»[٤] رابعةً، و«الحوراء الإنسية»[٥] خامسةً، و«سيدة نساء أهل الجنة»[٦] سادسةً، و«فداها أبوها»[٧] سابعةً، و«أن يغضب لغضبها ويرضى لرضاها»[٨] ثامنةً، إلى ما لا يعدّ ولا يُحصى من المناقب والمدائح . أما هي - أي عائشة - فلا تتلقى منه شيئاً من ذلك، بل

---

(١) الخصال للصدوق ص573 وكفاية الأثر للخزاز القمي ص37 وصحيح البخاري ج 4 ص210 وصحيح مسلم ج 7 ص141 وسنن النسائي ج 5 ص97 وغيرها كثير.

(٢) أمالي الصدوق ص175 وروضة الواعظين للفتال النيسابوري ص150 وبشارة المصطفى (صلى الله عليه وآله) لمحمد بن علي الطبري ص306

(٣) أمالي الصدوق ص175 وبشارة المصطفى (صلى الله عليه وآله) لمحمد بن علي الطبري ص306 واللمعة البيضاء للتبريزي الأنصاري ص853

(٤) اعتقادات المفيد ص105 وعيون أخبار الرضا (عليه السلام) للصدوق ج 2 ص26 وأمالي الطوسي ج 2 ص41

(٥) الفضائل لشاذان بن جبرئيل القمي ص9 ودلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري الإمامي ص148 والمحتضر لحسن بن سليمان الحلي ص109

(٦)) كمال الدين للصدوق ص263 وروضة الواظين للفتال النيسابوري ص149 وصحيح البخاري ج 4 ص183 وسنن الترمذي ج 5 ص326 ومسند أحمد بن حنبل ج 3 ص80

(٧) أمالي الصدوق ص305 ومناقب ابن شهراشوب ج 3 ص121

(٨) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) للصدوق ج 2 ص26 ومستدرك الحاكم ج 3 ص154 والمعجم الكبير للطبراني ج 1 ص108 وغيرها كثير.

تتلقى منه نقيضه من التقريع والتبكيت بسبب سوء أعمالها وخُبث نواياها، كقوله لها: «أَ تظنّين ياحميراء أني لا أعرفكِ؟! أما إن لأمتي منكِ يوماً أحمر»![١] وقوله لها: «قطع الله يدكِ»![٢] وقوله لها: «اتخذتِ الدنيا بطنكِ»![٣] وقولها عنها: «ما تدع عائشة عداوتنا أهل البيت»![٤] وضربه لها في صدرها حتى أوجعها![٥] ووصفه إياها بأنها: «رأس الكفر»![٦] و«قرن الشيطان»![٧] وكان كل هذا مما يزيد في إضرام النار التي تشتعل في صدرها. وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يزال يرفع شأن أخيه علي (عليه السلام) فيما يحطّ من شأن أبيها، فينتصر لعلي (عليه السلام) ويتعصّب له إذا ما مُسَّ بشطر كلمة، فيقول: «ما بال أقوامٍ ينتقصون

---

(١) إثبات الهداة للحر العاملي ج 1 ص391 عن اختصاص المفيد.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج 6 ص52 وسنن البيهقي ج 9 ص89 و إمتاع الأسماع للمقريزي ص265. وراجع ص285 من كتاب الفاحشة.

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي ج 15 ص262 والعهود المحمدية للشعراني ص777 عن البيهقي. وراجع ص520 من كتاب الفاحشة

(٤) الصراط المستقيم للنباطي العاملي ج 3 ص167 عن سعيد بن المسيب عن وهب.

(٥) راجع ص479 من كتاب الفاحشة.

(٦) صحيح مسلم ج 8 ص180 وغيره كثير.

(٧) صحيح البخاري ج 4 ص100 وغيره كثير.

ينتقصون عليّاً؟! مَن تنقَّص عليّاً فقد تنقَّصَني، ومَن فارق عليّاً فقد فارقني، إن عليّاً مني وأنا منه، خُلِق من طينتي، وخُلِقتُ من طينة إبراهيم، وأنا أفضل من إبراهيم، ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾»[١] ثم لا يكتفي بذلك حتى يؤكد نصبه وليّاً لأمر هذه الأمة بعده قائلاً: «إنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي».[٢] أما أبو بكر فلا يحظى بمثل هذه الحميّة، بل يستمرئ النبي (صلى الله عليه وآله) إهانته بأقذع الكلام ولا يكون منه إلا التبسّم[٣] ولكي يصرف عن الناس فكرة أنه جدير بخلافته فإنه يحمّله راية الفتح في خيبر فيرجع مهزوماً مدحوراً «يجبّن أصحابه

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ج 9 ص128 عن الطبراني.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج 5 ص356 وكنز العمال للمتقي الهندي ج 11 ص608 وتاريخ دمشق لابن عساكر ج 42 ص189 ونحوه في مسند الطيالسي ص111 ومصنف ابن أبي شيبة ج 7 ص504 وسنن النسائي ج 5 ص132 وصحيح ابن حبان ج 15 ص374 ومعجم الطبراني ج 12 ص78 وسنن الترمذي ج 13 ص165 وغيرها كثير.

(٣) راجع ص123 من كتاب الفاحشة في حديث إهانة دغفل بن حنظلة لأبي بكر، وكذا راجع حديث أبي هريرة في مسند أحمد بن حنبل ج 3 ص167 في أن رجلاً شتم أبا بكر فجعل النبي (صلى الله عليه وآله) يعجب ويتبسّم! وأما حديث البخاري في مغاضبة أبي بكر لعمر ودفاع النبي (صلى الله عليه وآله) عن أبي بكر؛ فأمارات الوضع عليه لائحة.

ويجبّنونه»[١] ويأمره بَدْواً بأن يبلغ سورة براءة في الموسم للمشركين ثم يعزله ويجعل عليّاً (عليه السلام) مكانه لأنه «لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجلٌ منك»[٢] فأبو بكر إذن ليس من النبي في شيء!

فما عسى عائشة - وهي الطموحة الجموحة - أن تفعل وهي ترى النبي (صلى الله عليه وآله) يصرف كل شيء مما كانت تحلم به إلى أهل بيته (عليهم السلام) بينما يصرف عنها وعن أبيها كل شيء؟! وما عساها أن تفعل وهي ترى نفسها محرومة من ميراثه المادي والاعتباري؟! سيّما أنها حُرمت منه الولد، بينما هو يشير في جميع المواطن إلى أن فاطمة وذريتها (عليهم السلام) هم ورثته والامتداد له، وينص - لتأكيد هذه الحقيقة - على أن الحسنين (عليهما السلام) ابناه موافقةً لقول الله تعالى: «أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ»[٣] وأن «ذرية كل نبي من صلبه، وذريتي من صلب علي».[٤]

---

(١) راجع تاريخ الطبري ج 3 ص93 وسنن البيهقي ج 9 ص106 ومستدرك الحاكم ج 3 ص38 وذخائر العقبى للمحب الطبري ص82 وحلية الأولياء لأبي نعيم ج 1 ص62 وغيرها كثير.

(٢) راجع تفسير السيوطي ج 3 ص209 وتفسير البغوي ج 2 ص267 وكنز العمال للمتقي الهندي ج 1 ص247 وتاريخ ابن كثير ج 5 ص38 وغيرها كثير.

(٣) آل عمران: 62 والمُراد الحسنان (صلوات الله عليهما) إجماعاً.

(٤) الاحتجاج للطبرسي ج 1 ص77 ونحوه في ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص193 عن الطبراني.

إنه لا يسع عائشة وهي ترى كل آمالها تتلاشى وتنهار أمام ثبات موقف النبي (صلى الله عليه وآله) في تسليم دفّة القيادة لأهل بيته (عليهم السلام) إلا أن تتناغم مع مخططات أبيها وأصحابه للاستيلاء على الحكم! فذلك وحده هو ما يتيح لها أن تتبوأ المكانة التي تصبو إليها، فيؤخذ منها نصف الدين! ويُأتمر بأمرها كأميرة للمؤمنين! وتُفضَّل في العطاء بألفين! وتصير منزلتها بعدُ بمنزلة «فضل الثريد على سائر الطعام»! وتُقدَّسَ إلى حدِّ أن يُتَبَرَّكَ ببعر جملها ويكون ريحه عند الناس كريح المسك!

ومن هنا بدأت قصة اغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله، وقلب نظام الحكم من بعده، وتزوير أوامره، وتحريف تعاليمه. وكان للحميراء في هذه القصة المؤلمة دور أساسي ومحوري.

بنت الزنا أفعى قاتلة في صورة حمامة سلام!

يسود اعتقاد مؤسف بين المسلمين هو أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد مات حتف أنفه! والحق أنه قد قُتل قتلاً وقبضه الله تعالى إليه شهيداً، غير أن الذي يحجب هذه الحقيقة عن الناس عاملان: أولهما؛ حرص المخالفين على إبعاد أبنائهم عن كل ما يكشف حقيقة إجرام أئمتهم كأبي بكر وعمر وعائشة، ومن هنا أغلق هؤلاء باب البحث في مسألة شهادة النبي (صلى الله عليه وآله) بتحاشيهم ذكرها أو مجرد الإشارة إليها، لئلّا يقود ذلك إلى البحث في السبب الحقيقي لشهادته (صلى الله عليه وآله) فتقع الإدانة على أمهم عائشة! وثانيهما؛ تجنب الموالين كشفَ هذه الحقيقة خوفاً من أن يستفزّ ذلك مشاعر المخالفين الذين فُتنوا بأمهم عائشة! وكانت النتيجة ضياع مظلومية خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله) وحرمان الأمة من معرفة سبب استشهاده مع أنه أعظم الخلق حقّاً عليها!

ولا ينبغي الشك في أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد قُتل قتلاً مع صراحة قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ

أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[١] فإنه بعد معلومية أن الله تعالى لا يجوز عليه الشك والترديد؛ تكون (أو) ههنا للإضراب فتأخذ معنى (بل) نحو قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[٥] وعليه يكون المعنى: «أفإنْ ماتَ بل قُتِل» ويكون المفاد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) سيُقتل حتماً، وإن كان في صيغة الكلام نوع إبهام قد يكون لمكان المشركين الذين كانوا يطلبون حين نزول الآية قتل النبي (صلى الله عليه وآله) في أُحُدٍ وما تلاها، وإلا فإن الإضراب بداعي تدارك الغلط محال على علّام الغيوب جلّ وعلا.

---

(١) آل عمران: 145

(٢) الصافات: 148

(٣) البقرة: 75

(٤) البقرة: 201

(٥) النحل: 78

فهذا القرآن شاهدٌ إذن على حقيقة شهادة النبي صلى الله عليه وآله، وأما الأحاديث فقد استفاض عندنا قولهم عليهم السلام: «والله ما منّا إلا مقتول شهيد»[١] وهو يدل بعمومه على أنه (صلى الله عليه وآله) مقتول شهيد.

وأما خصوصاً ونصّاً؛ فقد روى سُليم بن قيس الهلالي عن عبد الله بن جعفر في حديث أن النبي (صلى الله عليه وآله) قام خطيباً فقال: «أيها الناس؛ إذا أنا استشهدت فعلي أولى بكم من أنفسكم، فإذا استشهد علي فابني الحسن أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم، فإذا استشهد ابني الحسن فابني الحسين أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم، فإذا استشهد ابني الحسين فابني علي بن الحسين أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم، ليس لهم معه أمر. ثم أقبل على علي عليه السلام فقال: يا علي؛ إنك ستدركه فأقرأه مني السلام. فإذا استشهد فابنه محمد أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم، وستدركه أنت يا حسين فأقرأه مني السلام. ثم يكون في عقب محمد رجالٌ واحد بعد واحد وليس لهم معهم أمر. ثم أعادها ثلاثاً ثم قال: وليس منهم أحد إلا وهو أولى

---

(١) إعلام الورى للطبرسي ج 2 ص132 عن الصادق عليه السلام، وعيون الأخبار للصدوق ج 1 ص287 عن الرضا عليه السلام، ونحوه في كافية الأثر للخزاز ص227 عن المجتبى عليه السلام.

بالمؤمنين منهم بأنفسهم، ليس معه أمر، كلهم هادون مهتدون، تسعة من وُلد الحسين. فقام إليه علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يبكي فقال: بأبي أنت وأمي يا نبي الله؛ أَ تُقتل؟! قال: نعم! أهلك شهيداً بالسم، وتُقتل أنت بالسيف وتُخضَّب لحيتك من دم رأسك! ويُقتل ابني الحسن بالسم! ويُقتل ابني الحسين بالسيف! يقتله طاغي بن طاغي! دعي بن دعي! منافق بن منافق»![١]

وروى الراوندي وابن شهراشوب – واللفظ للأول - عن الصادق عن آبائه عليهم السلام: «أن الحسن عليه السلام قال لأهل بيته: أنا أموتُ بالسم كما مات رسول الله صلى الله عليه وآله. قالوا: ومَن يفعل ذلك بك؟ قال: امرأتي جعدة بنت الأشعث، فإن معاوية يدسّ إليها ويأمرها بذلك. فقالوا: أخرجها من منزلك وباعدها عن نفسك! قال: كيف أخرجها ولم تفعل بعدُ شيئاً؟! ولو أخرجتُها ما قتلني غيرها».[٢] ومقتضى الحديث مطابقة كيفية الشهادة، فكما يموت الحسن (عليه السلام) بالسم؛ كذلك

(١) كتاب سُليم بن قيس الهلالي ص362 وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 33 ص266

(٢) إثبات الهداة للحر العاملي ج 2 ص558 عن الخرائج والجرائح للراوندي، وبحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 43 ص327 عن مناقب ابن شهراشوب.

مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالسم. وكما تقتل امرأة الحسن (عليه السلام) زوجها؛ كذلك قتلت امرأة رسول الله (صلى الله عليه وآله) زوجها.

وروى العياشي عن عبد الصمد بن بشير عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «تدرون مات النبي صلى الله عليه وآله أو قُتل؟ إن الله يقول: أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ، فُسَمَّ قبل الموت! إنّهما سقتاه! فقلنا: إنهما وأبويهما شرّ من خلق الله»![١] ولا يخفى أن المُراد عائشة وحفصة وأبواهما.

وروى العياشي أيضاً عن الحسين بن المنذر قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ، القتل أم الموت؟ قال: يعني أصحابه الذين فعلوا ما فعلوا»![٢]

وقد مرّ عليك في الفصل الثالث -من كتاب الفاحشة- حديثان في ذلك أيضاً، إحداهما ما رواه النباطي البياضي عن أبي عبد الله الصادق عليه

---

(١) تفسير العياشي ج 1 ص200

(٢) المصدر نفسه.

السلام: «أنه أعلم حفصة أن أباها و أبا بكر يليان الأمر، فأفشت إلى عائشة فأفشت إلى أبيها، فأفشى إلى صاحبه، فاجتمعا على أن يستعجلا ذلك على أن يسقياه (صلى الله عليه وآله) سُمّاً»![١]

وثانيهما ما رواه علي بن إبراهيم القمي في تفسيره لسورة التحريم: «كان سبب نزولها أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان في بعض بيوت نسائه وكانت مارية القبطية تكون معه تخدمه، وكان ذات يوم في بيت حفصة، فذهبت حفصة في حاجة لها فتناول رسول الله (صلى الله عليه وآله) مارية، فعلمت حفصة بذلك فغضبت! وأقبلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالت: يا رسول الله؛ في يومي وفي داري وعلى فراشي! فاستحيى رسول الله (صلى الله عليه وآله) منها فقال: كُفّي فقد حرَّمتُ مارية على نفسي ولا أطأها بعد هذا أبداً، وأنا أفضي إليك سراً إنْ أنتِ أخبرتِ به فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فقالت: نعم؛ ما هو؟ فقال: إن أبا بكر يلي الخلافة بعدي ثم من بعده أبوكِ. فقالت: مَنْ أَنْبَأَكَ هٰذَا؟ قَالَ: نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ، فأخبرت حفصة به عائشة من يومها ذلك!

---

(١) الصراط المستقيم لعلي بن يونس النباطي البياضي ج 3 ص168 وعنه بحار الأنوار ج 22 ص246

وأخبرت عائشة أبا بكر، فجاء أبو بكر إلى عمر فقال له: إن عائشة أخبرتني عن حفصة بشيء ولا أثق بقولها! فاسأل أنت حفصة. فجاء عمر إلى حفصة فقال لها: ما هذا الذي أخبرت عنكِ عائشة؟ فأنكرت ذلك وقالت: ما قلتُ لها من ذلك شيئاً! فقال لها عمر: إنْ كان هذا حقاً فأخبرينا حتى نتقدّم فيه! فقالت: نعم قد قال رسول الله ذلك. فاجتمعوا أربعةً على أن يسمّوا رسول الله صلى الله عليه وآله»![١]

وجمهور أهل الخلاف وافقونا في أصل الموضوع وقالوا بشهادته (صلى الله عليه وآله) على أثر تناوله السم، ومما استندوا إليه في ذلك ما رواه أحمد بن حنبل والطبراني وعبد الرزاق الصنعاني عن عبد الله بن مسعود قال: «لأن أحلف تسعاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُتل قتلاً أحبُّ إليَّ من أن أحلف واحدةً أنه لم يُقتل! وذلك بأن الله جعله نبياً واتخذه شهيداً».[٢]

(١) تفسير القمي ج 2 ص376 وعنه البحار ج 22 ص239، وراجع ص467 من هذا الكتاب وما بعدها.

(٢) مسند أحمد ج 1 ص408 والمعجم الكبير للطبراني ج 10 ص109 ومصنف الصنعاني ج 5 ص268

بيد أن أهل الخلاف افترقوا عنّا في تشخيص القتلة، ففي حين نقول نحن تبعاً لأئمتنا (عليهم السلام) بأن القتلة المتواطئين هم عائشة وحفصة وأبواهما؛ يقول أهل الخلاف أن القتلة المتواطئين هم اليهود، وذلك أن امرأة منهم تُدعى زينب بنت الحارث أرادت أن تستكشف هل أن محمداً (صلى الله عليه وآله) نبي حقاً أم لا؟ كما أرادت أن تثأر لمقتل أخيها مرحب في خيبر على يد أمير المؤمنين عليه السلام، فدعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصحابه إلى وليمة دسّت فيها السم، فتناول النبي (صلى الله عليه وآله) منها شيئاً قليلاً وبقي يعاني من أثر هذا السم إلى أن مات. وكان قد أمر بقتل زينب بنت الحارث هذه!

ونحن إذا أدخلنا هذيْن القوليْن في المخاض العلمي لوجدنا أن قولنا يحالفه التصديق والاطمئنان دون قولهم، وذلك من جهات:

- الجهة الأولى؛ أن قولنا متلقّىً عن الأئمة الأطهار من آل محمد (صلوات الله عليهم) وهم أعرف من غيرهم بحقيقة ما جرى على جدّهم صلى الله عليه وآله، كما أنهم الصادقون بنص الكتاب،

المبرّأون من كل عيب، فوجب طرح ما جاء عن سواهم إذا ما اصطدم بما جاء عنهم.

• الجهة الثانية: أن محاولة المرأة اليهودية لسمّ النبي (صلى الله عليه وآله) وقعت بُعيْد فتح خيبر، أي في أول السنة السابعة من الهجرة النبوية الشريفة، وقد استشهد النبي (صلى الله عليه وآله) في آخر السنة العاشرة، فيكون من البعيد جداً أن تكون وفاته بسبب تناوله لهذا السمّ قبل أكثر من ثلاث سنوات، فإن تأثير السم لا يبقى عادة إلى هذه الفترة، وحتى إن بقي فإن أعراضه تصاحبه، فتجد صحة المسموم تتراجع شيئاً فشيئاً، وتظهر عليه أمارات التدهور، غير أنّا وجدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) من يوم فتح خيبر إلى أيام قليلة من استشهاده؛ يتمتع بكامل صحته وعافيته حتى أنه كان يشارك في المعارك والغزوات بشكل طبيعي، ولا أدلّ من هذا على أنه لم يكن لذلك السم في خيبر أثر عليه، هذا إن صحّ أنه تناوله، ولم يصحّ ذلك كما سيأتي.

- الجهة الثالثة: أن بعض الروايات ذكرت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يتناول من تلك الشاة المسمومة أصلاً، فقد أعلمه الله تعالى بأنها مسمومة فأمر أصحابه بأن لا يأكلوا منها، وكانت هذه معجزة من معاجزه (صلى الله عليه وآله) ودليلاً من دلائل نبوته.

روى أبو داود والبيهقي والخطيب عن أبي هريرة قال: «إن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة فقال لأصحابه: أمسكوا فإنها مسمومة. فقال: ما حملكِ على ما صنعتِ؟ فقالت: أردتُ أن أعلم إنْ كنتَ نبيّاً فسيطلعك الله عليَّ وإن كنتَ كاذبا أريح الناس منك! قال: فما عرض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم».[١]

وروى البخاري والدارمي عن أبي هريرة قال: «لمّا فُتحت خيبر أُهدِيَت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم، فقال النبي: اجمعوا إليَّ من كان ههنا من يهود، فجُمعوا له. فقال لهم: إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقوني إن سألتكم عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم. فقال لهم من أبوكم؟ فقالوا: أبونا فلان. فقال لهم: كذبتم! بل أبوكم فلان. قالوا: صدقت

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص396 عن البيهقي وأبي داود، وتاريخ بغداد ج 7 ص384 وغيرها كثير.

وبررت. فقال لهم: هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم, وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا. فقال لهم: من أهل النار؟ فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: اخسئوا فيها! والله لا نخلفكم فيها أبداً. ثم قال لهم: هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه؟ فقالوا: نعم. فقال هل جعلتم في هذه سمّاً؟ فقالوا: نعم. فقال ما حملكم على ذلك؟ فقالوا: أردنا إنْ كنتَ كذاباً أن نستريح منك, وإن كنت نبياً لم يضرّك».[١]

- الجهة الرابعة؛ أن بعض الروايات أكدت أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يتعرّض لزينب بنت الحارث ولم يعاقبها ولم يقتلها، كما تقدّم في رواية أبي داود والبيهقي والخطيب، وكذا في رواية أبي داود عن جابر بن عبد الله قال: «فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها»[٢] بل في رواية الطبري: «فضحك نبي الله صلى الله عليه وسلم وتركها».[٣]

---

(١) صحيح البخاري ج 4 ص66 وسنن الدارمي ج 1 ص33 وغيرهما كثير.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص397 عن أبي داود.

(٣) تهذيب الآثار للطبري ج 6 ص381

وروى عبد الرزاق الصنعاني وابن حجر العسقلاني عن الزهري أنها «أسلمت فتركها النبي صلى الله عليه وسلم».[١]

ويؤيده أيضاً ما في رواية البخاري ومسلم من أنه (صلى الله عليه وآله) لمّا سُئل: «ألا نقتلها؟ قال: لا».[٢]

وهذا أدعى للتصديق، لموافقته خُلُق النبوة في العفو والصفح، ولأقربية إسلام المرأة بعد الذي رأت من نطق رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالغيب وكشفه ما صنعت، أو لأقربية فرارها من العقاب وتحرّمها بالإسلام إذ هو يجبُّ ما كان قبله.

- الجهة الخامسة: أنّا لو قبلنا مضمون هذه الروايات التي تذكر تناول النبي (صلى الله عليه وآله) لتلك الشاة المسمومة دونما علمٍ منه بذلك؛ لفتح ذلك باب الطعن في نبوته وتكذيبه في دعواه أنه رسول الله! ذلك لأن المرأة قالت في مقام تعليل ما صنعت: «أردتُ أن أعلم إنْ

---

(١) مصنف الصنعاني ج 11 ص 28 وعنه سيرة ابن كثير ج 3 ص398، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج 8 ص155

(٢) صحيح البخاري ج 3 ص141 وصحيح مسلم ج 7 ص15

كنتَ نبيّاً فسيطلعك الله عليَّ و إن كنتَ كاذباً أريح الناس منك»! فإن كان حقاً أن الله تعالى لم يُطْلِع رسوله (صلى الله عليه وآله) على ذلك فأكل - ولو لقمة - فإن ذلك يفضي إلى اعتقاد المرأة واليهود بكذبه والعياذ بالله، وهذا ما لا يكون من الحكيم جل وعلا، فإنه ينصر رسله في مثل مواقف التحدي هذه مُظهراً صدقهم في دعواهم النبوة، كما يشهد به تاريخ النبوة والأنبياء عليهم السلام.

إذن لا سبيل للقول بأنه (صلى الله عليه وآله) قد أكل من تلك الشاة المسمومة دونما علمٍ و إخبار، كما لا سبيل للقول بأنه (صلى الله عليه وآله) قد أكل منها شيئاً قليلاً ثم أطلعه الله على ذلك، لأن هذا في نظر المرأة واليهود لا يكون من الاطلاع على الغيب ولا من آيات ودلائل النبوة، إذ يقولون أنه بعدما لاكَ لقمةً أحسَّ بأن الطعام مسموم فامتنع عن مواصلة الأكل، فلا ثبوت قطعياً لدعوى نبوته إذ ذاك، وهذا من جملة ما يروّجه أعداء الإسلام اليوم من النصارى واليهود، فقد أخذوه مطعناً في نبوة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، وقد سمعناه من بعضهم ههنا في الغرب وجَهِدنا في إرجاعهم إلى روايات آل محمد (عليهم السلام) وما يوافقها التي تؤكد

على نطق الذراع المسمومة وقولها للنبي صلى الله عليه وآله: «إني مسمومة»(١) فلم يسمعوا! واحتجوا علينا بروايات البخاري ومسلم وأضرابهما من الذين رووا الأكاذيب والمختلَقات عن أمثال عائشة وأبي هريرة وأضرابهما!

وقد روى إمامنا العسكري (صلوات الله عليه) التفاصيل الدقيقة لما جرى ذلك اليوم، حيث قال في تفسيره الشريف: «وأما كلام الذراع المسمومة فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا رجع من خيبر إلى المدينة وقد فتح الله له؛ جاءته امرأة من اليهود قد أظهرت الإيمان ومعها ذراع مسمومة مشوية، فوضعتها بين يديه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما هذه؟ قالت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، همّني أمرك في خروجك إلى خيبر فإني علمتهم رجالاً جلداً،(٢) وهذا حملٌ كان لي ربّيتُه أعدّه كالولد لي، وعلمتُ أن أحبَّ الطعام إليك الشواء، وأحب الشواء إليك الذراع، فنذرتُ لله لئن سلّمك منهم لأذبحنّه ولأطعمنّك من شواء ذراعه، والآن قد

(١) الأمالي للصدوق ص294 والثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي ص81 عن أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) تريد أنها اهتمّت وأشفقت على النبي (صلى الله عليه وآله) إذ توجّه لقتال رجال يهود فيهم جلادة وخشونة.

سلّمك منهم وأظفرك بهم، فجئتُ بهذا لأفي بنذري. وكان مع رسول الله صلى الله عليه وآله البراء بن معرور[١] وعلي بن أبي طالب عليه السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ائتوا بخبز. فأُتِيَ به فمدّ البراء بن معرور يده وأخذ منه لقمة فوضعها في فيه. فقال له علي بن أبي طالب عليه السلام: يا براء؛ لا تتقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال له البراء - وكان أعرابياً[٢] - : يا علي! كأنك تبخِّل رسول الله صلى الله عليه وآله! فقال علي عليه السلام: ما أبخِّلُ رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكني أبجّله وأوقّره، ليس لي ولا لك ولا لأحد من خلق الله أن يتقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله بقول ولا فعل ولا أكل ولا شرب. فقال البراء: ما أبخِّلُ رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال علي عليه السلام: ما لذلك قلتُ، ولكن هذا جاءت به هذه وكانت يهودية، ولسنا نعرف حالها، فإذا أكلتَه بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله فهو الضامن لسلامتك منه، و إذا أكلتَه بغير إذنه وُكِّلْتَ إلى نفسك. يقول علي عليه السلام هذا والبراء يلوك اللقمة، إذ

---

(١) كذا جاء في النسخة والظاهر أنه قد سقط من الناسخ اسم ولده بشر الذي هو صاحب القصة فتكرّر هذا التصحيف في الخبر.

(٢) أي يحمل صفات الأعراب في ذلك الزمان من الغلظة والخشونة، لا أنه أعرابي انتماءً، فهو مدني أنصاري.

أنطق الله الذراع فقالت: يا رسول الله! لا تأكلني فإني مسمومة! وسقط البراء في سكرات الموت ولم يُرفع إلا ميتاً! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ايتوني بالمرأة. فأُتي بها، فقال لها: ما حملكِ على ما صنعتِ؟ فقالت: وترتني وَتراً عظيماً! قتلتَ أبي وعمي وأخي وزوجي وابني! ففعلتُ هذا وقلتُ: إنْ كان ملكاً فسأنتقم منه، و إنْ كان نبياً كما يقول وقد وُعِد فتح مكة والنصر والظفر فسيمنعه الله ويحفظه منه[١] ولن يضرّه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيتها المرأة لقد صدقتِ. ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يضرّكِ موت البراء فإنما امتحنه الله لتقدّمه بين يديْ رسول الله صلى الله عليه وآله، ولو كان بأمر رسول الله أكل منه لكُفِيَ شرّه وسَمَّه. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ادعُ لي فلاناً وفلاناً. وذكر قوماً من خيار أصحابه منهم سلمان والمقداد وعمار وصهيب وأبو ذر وبلال وقوم من سائر الصحابة تمام عشرة، وعلي عليه السلام حاضر معهم. فقال صلى الله عليه وآله: اقعدوا وتحلّقوا عليه. فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على الذراع المسمومة ونفث عليه وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله الشافي، بسم الله الكافي، بسم الله المعافي، بسم الله

(١) أي يحفظه من الطعام المسموم.

الذي لا يضر مع اسمه شيء ولا داء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم. ثم قال صلى الله عليه وآله: كلوا على اسم الله. فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله، وأكلوا حتى شبعوا، ثم شربوا عليه الماء. ثم أمر بها فحُبستْ.(١) فلمّا كان في اليوم الثاني جيء بها فقال صلى الله عليه وآله: أَليس هؤلاء أكلوا ذلك السم بحضرتك؟ فكيف رأيتِ دفع الله عن نبيّه وصحابته؟ فقالت: يا رسول الله! كنتُ إلى الآن في نبوتك شاكة، والآن فقد أيقنت أنك رسول الله حقاً، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله حقاً. وحَسُن إسلامها».(٢)

وهذا الخبر يحلّ التعارض في أخبار أهل الخلاف، فقد جاء في بعضها أنه (صلى الله عليه وآله) قد أكل، وفي بعضها الآخر أنه لم يأكل وأن الذراع نطقت وقالت: «إني مسمومة» كما رواه القاضي عياض إذ قال: «وفي رواية الحسن أن فخذَها تكلّمني أنها مسمومة، وفي رواية أبي سلمة ابن عبد الرحمن قالت: إني مسمومة، وكذلك ذكر الخبر ابن إسحاق وقال

(١) أي المرأة.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص177 وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 17 ص317

فيه: فتجاوز عنها».[١] أي أنه (صلى الله عليه وآله) تجاوز عن المرأة فلم يعاقبها.

وكذا روى اليعقوبي: «وجاءته زينب بنت الحارث أخت مرحب بالشاة المسمومة فأخذ منها لقمة وكلّمته الذراع فقالت: إني مسمومة».[٢]

فالحل إذن هو أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يأكل إلا بعدما أطلعه الله تعالى على حقيقة مسمومية ذلك الطعام، ثم إنه أكله وأصحابه بعدما ذكر اسم الله الشافي الكافي عليه فلم يؤثر لا فيه ولا فيهم، كما رُوي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام. ومهما يكن؛ فلا سبيل للقول بأنه (صلى الله عليه وآله) قد أكل من ذلك الطعام دونما علم و إخبارٍ لأن لازم ذلك الأكل تكذيب نبوته و إغراء اليهود وغيرهم بجحد رسالته، وهذا محال.

وعليه كيف يُقال أن هذا الطعام الذي لم يأكله النبي (صلى الله عليه وآله) أو أنه أكله بأمر الله وقد جُعل السم فيه بلا تأثير إعجازاً كما لم تؤثّر النار بأمر الله في إبراهيم عليه السلام.. كيف يُقال أن هذا الطعام

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وآله للقاضي عياض ج 1 ص317

(٢) تاريخ اليعقوبي ج 2 ص57

كان السبب في استشهاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أكثر من ثلاث سنوات؟!

- الجهة السادسة؛ أن عائشة هي التي تروي أن استشهاد النبي (صلى الله عليه وآله) كان بفعل أكله قبل ثلاث سنوات تلك الشاة المسمومة! فقد وضعت حديثاً على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) في هذا الشأن، فقالت كما رواه البخاري: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه: يا عائشة؛ ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلتُ بخيبر، وهذا أوان وجدتُ انقطاع أَبْهَري من ذلك السم»![1]

ونحن لا يسعنا التسليم برواية عائشة هذه، لا فحسبْ لما مرّ من استحالة وجود السم سارياً في بدن الإنسان أكثر من ثلاث سنوات دون أن يصاحبه تدهور صحي؛ وإنما لكون راوية هذا الخبر معلومة الكذب مسلوبة الإيمان، فقد تقدّم في الفصليْن الثاني والثالث ما نزل من آيات في ذمّها وإدانتها وإثبات زيغها عن الحق، وما جاء في الحديث من نفي الحكم بإيمانها واعترافها بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، فأنّى

---

(١) صحيح البخاري ج 5 ص137، والأبهر هو العرق أو الشريان المتصل بالقلب من الظهر، وهو معروف.

يسعنا الوثوق بإخباراتها وما ترويه؟! سيّما أنها هي المتهمة في جريمة قتل النبي صلى الله عليه وآله.

دع عنك ذا. كيف لنا أن نطمئن إلى حديثها هذا وقد جاءت في حديث آخر بخلافه؟! فقد زعمت أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد توفي بسبب مرض ذات الجنب أو ذات الخاصرة، والذي يكون بسبب ورم باطني في الجنب أو الخاصرة، وعندما ينفجر يموت الإنسان.

روى أبو يعلى عن عائشة قالت: «مات رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذات الجنب»![١]

هذا مع أنها جاءت بحديث ثالث مفاده نفي النبي (صلى الله عليه وآله) إمكان أن يُصاب بذات الجنب لأنها من الشيطان! فقد روى الحاكم عن عروة عن عائشة أنها حدّثته: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال حين قالوا: خشينا أن الذي برسول الله ذات الجنب؛ قال: إنها من الشيطان وما كان الله ليسلّطه عليَّ».[٢]

---

(١) مسند أبي يعلى ج 8 ص258

(٢) مستدرك الحاكم ج 4 ص405

وهذه كله من التهافت الواضح ، فمرة تزعم أن النبي (صلى الله عليه وآله) أخبرها بأنه يمضى مسموماً بسمِّ خيبر الذي قطع أبهر قلبه، وأخرى تزعم أنه قد توفي من ورم ذات الجنب! وثالثةً تزعم أنه (صلى الله عليه وآله) نفى إمكان أن يُصاب بذات الجنب! فلا يُدرى والحال هذه على أيٍّ من أحاديث عائشة يُعتمد؟! أَعلى حديث أنه (صلى الله عليه وآله) مات بسبب السم؟ أم على حديث أنه مات بذات الجنب؟ أم على حديث النفي فيُفتَّش عن سبب آخر؟!

و إذا كان النبي (صلى الله عليه وآله) قد نصّ على أنه يموت بفعل السم وقد أصيب في أبهر قلبه كما تزعم؛ فكيف زعمت تالياً أنه مات بسبب ذات الجنب وقد أصيب في خاصرته؟! إلا أن يكون ذلك تكذيباً منها للنبي صلى الله عليه وآله!

وكذا إذا كان النبي (صلى الله عليه وآله) قد نصّ على عدم إمكان أن يُصاب بذات الجنب لأنه داء شيطاني ولا يمكن للشيطان أن يتسلط عليه؛ فكيف أطلقت القول بأن موته كان بسبب ذات الجنب؟! إلا أن يكون ذلك تكذيباً منها له صلى الله عليه وآله!

إن هذا التهافت يدلّل على أن عائشة عاشت حالةً من الارتباك في تفسير سبب شهادة النبي صلى الله عليه وآله، وهذا ما يشير بإصبع الاتهام إليها، فإن المريب يكاد أن يقول: خذوني!

• الجهة السابعة؛ أن هناك حديثاً يرويه المخالفون عن عائشة تبرّر فيه - بصيغة التمريض - إقدامها على وضع مادة غريبة في فم رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين كان مغشياً عليه في مرضه! فقد زعمت أن هذه المادة هي (لدود) أي دواء يوضع في أحد شقّي الفم عنوة! وعندما أفاق النبي (صلى الله عليه وآله) واكتشف الأمر وسأل عن الفاعل قامت عائشة ومَن عاونها بإلصاق التهمة كذباً بالعباس بن عبد المطلب عمّ النبي! إلا أنه (صلى الله عليه وآله) برّأ ساحة عمّه وأمر بأن تتناول هي ومَن معها من نفس هذه المادة عقاباً، مفنّداً تبريرات عائشة بأنها كانت. تخاف عليه ذات الجنب ومعيداً التأكيد على. أنها داء شيطاني لا يمكن أن يُصاب به.

وهذا تمام الحديث كما رواه البخاري ومسلم: «عن عائشة قالت: لددنا رسول الله في مرضه وجعل يشير إلينا أن لا تلدّوني، فقلنا: كراهية

المريض بالدواء! فلمّا أفاق قال: ألم أنهكم أن تلدّوني؟! قلنا: كراهية الدواء! فقال صلى الله عليه وسلم: لا يبقى منكم أحدٌ إلا لُدَّ وأنا أنظر، إلا العباس فإنه لم يشهدكم».[١]

وروى أحمد بن حنبل عن عائشة قالت: «لددنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فأشار إلينا أن لا تلدّوني، قلتُ: كراهية المريض الدواء! فلمّا أفاق قال: ألم أنهكم أن لا تلدّوني؟! قال: لا يبقى منكم أحدٌ إلا لُدَّ غير العباس فإنه لم يشهدكن».[٢]

وروى الحاكم عن عائشة قالت: «إن رسول الله كانت تأخذه الخاصرة فتشتد به وكنا نقول: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله عرق الكلية، ولا نهتدي أن نقول الخاصرة، أخذت رسول الله يوماً فاشتدت به حتى أُغمي عليه وخفنا عليه، وفزع الناس إليه، فظننا أن به ذات الجنب فلددناه، ثم سُرِّيَ عن رسول الله وأفاق فعرف أنه قد لُدَّ ووجد أثر ذلك

---

(١) صحيح البخاري ج 8 ص42 وصحيح مسلم ج 7 ص42 وغيرهما كثير.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج 6 ص53

اللد، فقال: أظننتم أن الله سلّطها عليّ؟ ما كان الله ليسلّطها عليّ، والذي نفسي بيده لا يبقى في البيت أحد إلا لُدَّ إلا عمّي». [١]

وفي رواية ابن كثير عن البيهقي عنها قالت: «فأفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: مَن فعل هذا؟ فقالوا: عمك العباس! تخوّف أن يكون بك ذات الجنب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنها من الشيطان، وما كان الله ليسلطه عليَّ، لا يبقى في البيت أحدٌ إلا لددتموه إلا عمي العباس». [٢]

إن مما تجدر ملاحظته ههنا أمور:

منها؛ أن ثمة مادة غريبة قد وُضعت في فم رسول الله (صلى الله عليه وآله) أثناء غيبوبته، وهذه المادة لا يمكن أن تكون في نفعه (صلى الله عليه وآله) وإلا لم ينهَ عنها ويشير إليهنّ أن لا يلدّوه، بل إن هذه المادة لا ريب في أنها كانت في ضرره ولذا أمر (صلى الله عليه وآله) بمعاقبة مَن شارك في هذه الجريمة بأن يُلَدَّ ويتناول من نفس تلك المادة.

(١) مستدرك الحاكم ج 4 ص203

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص446 عن البيهقي بسنده.

ومنها؛ أن الفعل كان خطيراً ولذا جرت محاولة لاتهام العباس به للخلاص من تبعاته، غير أن النبي (صلى الله عليه وآله) برّأ ساحة عمه وأنبأ بعدم شهوده لهن، و إلا وجب تكذيبه (صلى الله عليه وآله) وتصديق عائشة التي نسبت إلى العباس قوله: «إنّا لنرى برسول الله ذات الجنب فهلمّوا فلنلدّه! فلدّوه»![1] ويظهر من رواية أسماء بنت عُميس أنها أيضاً من جُملة من اتُّهِم زوراً، إذ تقول: «فلمّا أفاق قال: ما هذا؟! فقلنا: هذا فعل نساء جئنَ من ههنا. وأشرن إلى أرض الحبشة وكانت أسماء بنت عميس فيهن»![2]

ومنها؛ أن الذين تجرأوا وسقوا النبي (صلى الله عليه وآله) هذه المادة كُنّ نسوة من زوجاته، وذلك بدلالة قوله (صلى الله عليه وآله) في رواية أحمد المتقدّمة: «غير العباس فإنه لم يشهدكنّ» وهو لفظ خطاب للإناث، و يوافق ذلك ما جاء عن أسماء بنت عميس في رواية أحمد بن حنبل: «أول

(١) المصدر السابق.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج 6 ص438

ما اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ميمونة، فاشتد مرضه حتى أغمي عليه، فتشاور نساؤه في لدّه فلدّوه»[١] إذن هنّ نساؤه لا غير.

ومنها؛ أن عائشة هي رأس الذين قاموا بهذا الفعل، بدلالة أنها هي التي ترويه بصيغة: «لددنا» ثم إنها رأس الذين عصوا أمره (صلى الله عليه وآله) بأن لا يلدّوه بدعوى أنه مريض لا يعرف مصلحته ولذا يكره الدواء! فهي تقول كما في رواية أحمد المتقدّمة: «قلتُ: كراهية المريض الدواء»! إذن هي صاحبة هذه المقولة ورأس المحرّضين على وضع هذه المادة عنوة في فم النبي صلى الله عليه وآله!

ولا يخفى أن عصيانها أمر النبي (صلى الله عليه وآله) وقيامها بلدّه رغماً عنه يوجب العلم بأنها الآن في جهنم خالدة فيها أبداً ولها عذاب مُهين! وذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[٢] ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.[٣]

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج 6 ص438

(٢) الجن: 24

(٣) النساء: 15

فالمتحصّل؛ أن جميع دلائل ومؤشرات الجريمة تحوم حول عائشة ومَن أعانها من نساء النبي (صلى الله عليه وآله) على وضع هذه المادة الغريبة في فمه الشريف، وغني عن القول أن أقربهنّ إليها ليست إلا حفصة. وبذا تكون هذه جميعاً قرائن على صدق ما جاء عن الأئمة الأطهار (عليهم الصلاة والسلام) في بيان سبب استشهاد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

و إنّا لو دقّقنا النظر في مجريات الأيام والساعات الأخيرة من حياته الشريفة؛ لانتبهنا إلى أن التدهور الصحي المتسارع له قد بدأ بعد عملية (اللدود) هذه مباشرة، حتى أنه توفي في اليوم التالي!

إنه (صلى الله عليه وآله) قد بدأ به المرض يوم الأربعاء ولم يكن إلا حمى وصداع ،[١] وفي يوم الخميس اشتد به المرض ووقعت الحادثة المعروفة برزية الخميس حيث اتهم عمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالهجر والهذيان وغياب العقل ليمنعه من كتابة الكتاب الذي لا تضلّ

---

(١) راجع طبقات ابن سعد ج 2 ص249 وفيه: «فلمّا كان يوم الأربعاء بدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم المرض فحُمَّ وصُدع ».

الأمة بعده! وفي يوم الجمعة بدأ أبو بكر وعمر وأشياخ قريش يشيعون جو التمرد على قرار رسول الله (صلى الله عليه وآله) بتأمير أسامة بن زيد في سرية الروم، فخطب بهم (صلى الله عليه وآله) خطبة بليغة يوم السبت رادّاً عليهم ومؤكداً قراره ولاعناً من تأخر عن جيش أسامة.

إلى ههنا والأمر - من الناحية المرضية - طبيعي، ولا يُرى إلا مرضاً طبيعياً لا يؤدي إلى الموت، إلا أنه في يوم الأحد جرى لدُّ النبي (صلى الله عليه وآله) فقد روى ابن سعد: «وثَقُل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول: أنفذوا بعث أسامة. فلمّا كان يوم الأحد اشتد برسول الله وجعه فدخل أسامة من معسكره والنبي مغمور، وهو اليوم الذي لدّوه فيه»![١] وفجأة تدهورت الحالة الصحية للنبي (صلى الله عليه وآله) حتى أنه لم يكن يستطيع النهوض لإمامة المصلّين فكان يخرج متكئاً على علي (عليه السلام) والفضل بن العباس كما مرّ، وفي اليوم التالي وهو يوم الإثنين فارق رسول الله (صلى الله عليه وآله) الحياة شهيداً!

---

(١) طبقات ابن سعد ج 2 ص190

هذا يؤشّر إلى أن ما جرى يوم الأحد لم يكن أمراً عادياً، فإن التدهور المتسارع قد بدأ برسول الله (صلى الله عليه وآله) فيه حتى لم يلبث إلى ضحى اليوم التالي ففارق الحياة بأبي هو وأمي. إذن لم يكن الذي جرى يوم الأحد سوى استغلال عائشة لمرض النبي (صلى الله عليه وآله) واقتناصها فرصة نومه أو غيبوبته بوضع مادة السم في فمه بدعوى أنها دواء ولدود! لهذا تدهورت صحته (صلى الله عليه وآله) إلى اليوم التالي فاستشهد!

و إنّا لو فتّشنا عن الذين لهم المصلحة في قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما وجدنا سوى أبي بكر وعمر، إذ هما اللذان تولّيا الحكم بعده بانقلاب دبّراه في سقيفة بني ساعدة بمعونة من أبي عبيدة بن الجراح وعثمان بن عفان وسالم مولى أبي حذيفة وخالد بن الوليد وأضرابهم، و إذ ذاك يكون منطقياً جدّاً أن يوعز أبو بكر وعمر إلى ابنتيهما بتنفيذ خطة اغتيال النبي (صلى الله عليه وآله) كما قال أئمة أهل البيت عليهم السلام!

وقد بيّن الأئمة (عليهم السلام) أن القوم هؤلاء قد تعاقدوا في الكعبة على أن يصرفوا الخلافة عن أهل بيت النبوة عليهم السلام، فقد روى

الكليني عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: «كنت دخلتُ مع أبي في الكعبة، فصلّى على الرخامة الحمراء بين العموديْن، فقال: في هذا الموضع ـ تعاقد ـ القوم إن مات رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ أو قُتِل أن لا يردّوا هذا الأمر في أحدٍ من أهل بيته أبداً! قال: قلتُ: ومَن كان؟ قال: كان أبا بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وسالم ابن الحبيبة»![1]

لهذا حاول القوم اغتيال النبي (صلى الله عليه وآله) غير مرة، كانت إحداهن ما رواه أحد شيوخ أهل الخلاف وهو الوليد بن جُميع الذي حاول ابن حزم الأندلسي القدح فيه مع أنه في الوثاقة عندهم بمكان، ولذا يروي عنه مسلم في صحيحه والبيهقي في سننه وأحمد ابن حنبل في مسنده وابن شبة في مسنده وغيرهم، وقد نصّ ابن معين والعجلي على وثاقته.[2]

(١) الكافي للكليني ج 4 ص545

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج 9 ص8

وداعي ابن حزم للقدح في شيخهم هذا هو أنه «روى أخباراً فيها أن أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم و إلقاءه من العقبة في تبوك»![١]

ونحن لا يهمّنا جرحه أو تعديله، و إنما يهمّنا أنه «روى أخباراً» - و إن كتموها - في أن هؤلاء القوم أرادوا من قبلُ اغتيال النبي صلى الله عليه وآله، وهذا يكفي اللبيب - ولو كقرينة - لتصديق ما جاء عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) في إثبات تواطؤ هؤلاء على قتل النبي (صلى الله عليه وآله) بالإيعاز إلى عائشة وحفصة بدسّ السم إليه، إذ إن الذين لم يتورّعوا عن ذلك سابقاً؛ لا يتورّعون عنه لاحقاً، وهم بالنتيجة أصحاب مخطط سياسي وشهوة للسلطان، وفي السياسة ولأجل السلطان: كل شيء يجوز ويمضي!

فعائشة إذن هي قاتلة سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله! وستعلم أنها كانت من أهم محاور تنفيذ مخطط الانقلاب على عترته من

---

(١) المحلّى لابن حزم الأندلسي ج 11 ص224، وقد روى كبراء أهل الخلاف روايات مؤامرة اغتيال النبي (صلى الله عليه وآله) بالنفر بناقته من العقبة غير أنهم حجبوا - كعادتهم - أسماء «الصحابة» الذين تواطئوا على ذلك! ومن تلك الروايات ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده ج 5 ص453 فراجع .

بعده، فلا تستهن بالحميراء ولا تغرنّك فإنها أفعى قاتلة في صورة حمامة سلام![١]

وبعد العلم بأنها (لعنها الله) قاتلة النبي (صلى الله عليه وآله) يُعلم بأنها بنت زنا حتماً، ذلك لأنه (صلى الله عليه وآله) قال: «لا يقتل الأنبياء وأولاد الأنبياء إلا أولاد الزنا»،[٢] وعليه؛ إما أن تكون أم رومان قد زنت بغير أبي بكر فولدت عائشة ونسبتها له - وهو الأرجح - و إما أن يكون أبو بكر قد زنا بامرأة فضمّ وليدتها لامرأته أم رومان، و إما أن يكون أبو بكر قد زنا بأم رومان قبل عقد النكاح بينهما فجاء بعائشة من ماء أُفرغ في رحم حراماً.

---

(١) اتفق أن كتبتُ معظم ما جاء في هذا الفصل يوم الثامن والعشرين من صفر سنة ثلاثين وأربعمئة وألف للهجرة، وهو يوم استشهاد نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله. وانتهيتُ إلى هذا الموضع ليلة التاسع والعشرين، وأنا أمتلئ حسرةً وأسفاً على ضياع مظلومية هذا النبي (صلى الله عليه وآله) إذ لا أحد يذكر القصة الحقيقية لاستشهاده على المنابر ووسائل الإعلام، ولا تعرف هذه الأمة المخدوعة بعدُ مَن هُم قتلته الظالمون! فإنا لله و إنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم و إلى الله المشتكى، ومن رسوله (صلى الله عليه وآله) نطلب الصفح وله العتبى.

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه ص164 عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) عن النبي صلى الله عليه وآله. وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 27 ص240 وفيهما أخبار عدّة بهذا المضمون أيضاً فراجع .

ومهما يكن فإن هذه النتيجة لا تكون غير متوقعة بعد الذي تقدّم في الفصل الأول من بيان أحوال نسبها الخبيث وكيف أن جدتها لأبيها كانت من ذوات الرايات وقد سافحت عمّها الذي هو جدّ عائشة فأولدها أباها أبا بكر، فالبيت بيت الزناة والزواني! فبخ بخ يا عائشة! نِعْم الأصل أصلكِ!

سيدة المكر والدهاء!

حرصت العصابة الانقلابية بعد نجاحها في تزريق السم لرسول الله (صلى الله عليه وآله) على إحباط انتقال السلطة إلى الخليفة الشرعي أمير المؤمنين علي عليه السلام، إذ إن فشلها في ذلك يعرّضها لخطر القتل والإعدام عقاباً، ناهيك عن أنه يُذهب سُدىً جميع الجهود التي بذلتها في سبيل الاستيلاء على السلطة، لهذا كانت الساعات القليلة التي تلت تناول النبي (صلى الله عليه وآله) للسم أهم الساعات عند أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة ومَن إليهم، وكانت فترةً حبسوا فيها أنفاسهم، فالنبي (صلى الله عليه وآله) يحتضر، وما هي إلا ساعات ويرتحل عن الدنيا، وحينئذ إما هي الحياة أو الموت!

هنا جاء دور عائشة في تلك الساعات التي استنفر فيها أبو بكر وعصابته قواهم لتحقيق هدفهم الانقلابي، فبينما كان النبي (صلى الله عليه وآله) يثقل وتتدهور صحته؛ كانت عائشة تراقبه عن كثب في بيته للحيلولة دون قيامه بتسليم دفة الحكم فعلياً لخليفته ووصيه الشرعي.

وكانت إحدى حلقات وترتيبات هذا التسليم؛ أن يقوم علي (عليه السلام) في مقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) في محراب الصلاة، أي أن يسلّم النبي (صلى الله عليه وآله) إليه إمامة المصلّين في مسجده الشريف، ففي اليوم الأخير من حياته الشريفة وبعدما استشرى السم في بدنه الطاهر وقبل سويعات من استشهاده؛ لم يتمكن (صلى الله عليه وآله) من أن يصلي بالناس، فأراد استدعاء وصيّه (صلوات الله عليه) ليأمره بأن يحلّ محلّه في إمامة الجماعة بالمسجد إيذاناً باستلامه مهامه في قيادة الأمة.

ولمّا أدركت الحميراء خطورة هذا الاستدعاء؛ حالت دون ذلك من خلال ترشيح أبيها إليه (صلى الله عليه وآله) ليكون بديلاً عن علي عليه السلام! وكذلك فعلت صاحبتها حفصة بنت عمر حيث حاولت هي أيضا

من جانبها ترشيح أبيها، إلا أن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) أصرّ على قراره بطبيعة الحال، وزجر المرأتين زجراً شديداً.

ومع ذلك فقد استغلت عائشة هذه الفترة التي كان فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) طريح الفراش ولم يصل إليه علي (عليه السلام) بعد، فأرسلت إلى المؤذن بلال بن رباح تدعوه لتنفيذ أمر نبوي صدر للتوّ بتعيين أبيها أبي بكر بن أبي قحافة إماماً للمصلين! ولم يكن هذا إلا كذباً وتزويراً قامت به عائشة بخبث ودهاء، وواطأها عليه أبوها، إذ تجرّأ ووقف بالفعل في محراب رسول الله (صلى الله عليه وآله) منصّبا نفسه إماماً للمصلين!

وعندما شرع أبو بكر بالصلاة؛ سمع صوته رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث إن حجرته الشريفة داخل المسجد، فغضب مما جرى، وأصرّ على أن ينهض من فراشه - رغم كل آلامه - لكي يعزل ابن أبي قحافة عن إمامة الصلاة، ويصلي هو بنفسه بالناس. وبالفعل فقد اتكأ (صلى الله عليه وآله) على علي (عليه السلام) حين وصل إليه وعلى ابن عمّه الفضل ابن العباس فكانا يعاونانه على المشي إلى المسجد، وذلك لشدة الألم الذي

أنهكه بفعل السم. وعندما وصل النبي إلى محراب الصلاة عزل أبا بكر ونحّاه، وأقام الصلاة من جديد، وهو ما يكشف عن عدم رضاه (صلى الله عليه وآله) ببقاء أبي بكر إماماً للجماعة، وأنه بالأصل لم يأمره بذلك.

كان هذا بطبيعة الحال افتضاحاً لعائشة إذ كُشف أنها زوّرت أمر النبي (صلى الله عليه وآله) لإيهام المسلمين بأنه قد عدل عن قراره القاضي بتعيين الإمام علي (عليه السلام) ولياً للأمر من بعده، وأنه ارتضى أبا بكر لهذا المنصب بدلاً عنه بدليل أنه قد عيّنه لإمامة المصلين في آخر يوم من حياته. وحسبت الحميراء أن خطتها ستنجح لظنّها أن نبي الله (صلى الله عليه وآله) لن يقوى على النهوض و إبطال ما صنعت، إذ إنه يعيش آخر لحظات حياته وقد أنهكه السم، إلا أن قيامه - بأبي هو وأمي - وتحامله على نفسه فضحها، فحاولت لاحقاً قلب صورة الحدث في أحاديثها كذباً وخداعاً، حيث زعمت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يتدخل لعزل أبيها عن الإمامة، و إنما جاء للاقتداء به في الصلاة بعدما وجد نفسه قد تشافى وفيه خِفَّة!

وسترى في ما يأتي أنها تناقض نفسها بنفسها، حيث ادعت في ما بعد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نحّى أباها بالفعل وكان هو الإمام إلا أن المسلمين اقتدوا بأبي بكر في الصلاة وكان أبو بكر يقتدي برسول الله صلى الله عليه وآله.! وما هذا الاضطراب الذي ستلاحظه في ادعاءاتها إلا دليلاً على أنها استماتت في قلب الحقيقة حفظاً لمقام أبيها الذي رأى جميع المسلمين آنذاك كيف أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد نهض من فراش مرضه حتى ينحيّه عن الصلاة.

هذا ولا تفوتنا الإشارة إلى أن أبا بكر كان قد هرب من المدينة المنورة بعد هذه الحادثة إلى منطقة (السُّنْح) ولاذ بفراش امرأته هناك خوفاً من عقاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخجلاً مما ارتكبه! إلا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان قد استشهد في اليوم نفسه وهو يوم الإثنين، فعاد أبو بكر أدراجه بعدما بلّغه صاحبه عمر بن الخطاب بالخبر لإبرام ما اتفقا عليه وليقودا معاً العملية الانقلابية في سقيفة بني ساعدة.

ولكي تتضح لنا صورة الحدث بأبعادها وتفاصيلها الدقيقة؛ فنحن بحاجة لاستنطاق مصادر الحديث والتاريخ ، فنبدأ باستنطاق البخاري

فنجده يروي عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود قوله: « كنا عند عائشة رضي الله عنها فذكرنا المواظبة على الصلاة والتعظيم لها، فقالت: لمّا مَرِض رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه، فحضرتْ الصلاة، فأُذِّنَ، فقال: مُروا أبا بكر فليُصَلِّ بالناس. فقيل له: إن أبا بكر رجل أسيف[١] إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس! وأعاد فأعادوا له، فأعاد الثالثة، فقال: إنكنَّ صواحب يوسف! مُروا أبا بكر فلْيُصَلِّ بالناس، فخرج أبو بكر فصلّى، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم من نفسه خِفَّةً، فخرج يُهادى بين رَجُلَيْن،[٢] كأني أنظر رِجْليه تخطّان من الوجع ،[٣] فأراد أبو بكر أن يتأخر، فأومأ إليه النبي صلى الله عليه وسلم أنْ مكانك، ثم أُتِيَ به حتى جلس إلى جنبه. فقيل للأعمش: وكان النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) أي أنه رقيق القلب سريع الحزن لا يتحمل أن يصلي دون أن يبكي من خشية الله! ففي لفظ آخر للبخاري: «يا رسول الله، إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء»! راجع صحيح البخاري ج 1 ص165. وفي لفظ مسلم: «يا رسول الله، إن أبا بكر رجل رقيق! إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه»! راجع صحيح مسلم ج 2 ص22.

(٢) أي يمشي بينهما معتمداً عليهما من شدة ما فيه من الوجع والألم والضعف.

(٣) أي يتركان أثراً على الأرض مثل الخطّ بسبب عدم استطاعته المشي بهما من شدة الإنهاك.

يصلي وأبو بكر يصلي بصلاته والناس يصلون بصلاة أبي بكر؟ فقال برأسه: نعم»![١]

وللبخاري رواية أخرى عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: «لما ثَقُلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلال يوذِنُهُ بالصلاة، فقال: مُروا أبا بكر أن يصلي بالناس. فقلتُ: يا رسول الله! إن أبا بكر رجل أسيف و إنه متى ما يَقُمْ مقامك لا يُسمع الناس! فلو أمرت عمر؟ فقال: مُروا أبا بكر يصلي بالناس. فقلتُ لحفصة: قولي له إن أبا بكر رجل أسيف و إنه متى يَقُمْ مقامك لا يُسمع الناس فلو أمرت عمر؟ قال: إنكنَّ لأنتُنَّ صواحب يوسف! مُروا أبا بكر أن يصلي بالناس. فلمّا دخل في الصلاة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه خِفَّةً فقام يُهادى بين رَجُلَيْن ورِجلاه يخطّان في الأرض حتى دخل المسجد، فلمّا سمع أبو بكر حِسَّهُ ذهب أبو بكر يتأخر فأومأ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس عن يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يصلي قائماً وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي قاعداً

(١) صحيح البخاري ج 1 ص162

يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس مقتدون بصلاة أبي بكر رضي الله عنه».[١]

وها أنت ترى كيف تضاربت روايتا عائشة هاتان، ففي الأولى أسندت وصف أبي بكر بالأسيف إلى غيرها بقولها: «فقيل له: إن أبا بكر رجل أسيف..وأعاد فأعادوا له» بينما في الرواية الثانية اعترفت بأنها هي صاحبة هذا القول! إذ قالت: «فقلتُ: يا رسول الله! إن أبا بكر رجل أسيف.. فقلتُ لحفصة: قولي له إن أبا بكر رجل أسيف»! وعلى أية حال؛ فإن الروايات التي تنسب إلى عائشة هذا القول هي الأكثر والأشهر، فهي صاحبته إذن بلا مرية، كما أن قوله صلى الله عليه وآله: «إنكنَّ صواحب يوسف» إنما توجّه إليها.

ولئن سألتَ عن معنى قوله (صلى الله عليه وآله) هذا وما يحمله من اتهامات خطيرة؛ فالجواب هو أن عائشة مثل زليخا التي حاولت إغواء النبي يوسف عليه السلام، حيث إنها دعت صاحباتها إلى مائدة مُظهرةً قصد الضيافة، في حين أنها كانت تضمر نيّة أخرى وتقصد باطناً شيئاً

---

(١) صحيح البخاري ج 1 ص175

آخر، وهو أن يرين جمال وحُسن يوسف فيعذرنها في ما صنعت. قال ابن حجر العسقلاني في شرح هذه العبارة: «وصواحب جمع صاحبة، والمراد أنهنّ مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن. ثم إن هذا الخطاب و إن كان بلفظ الجمع فالمراد به واحد وهي عائشة فقط، كما أن صواحب صيغة جمع والمراد زليخا فقط».[١]

هذه العبارة النبوية كانت اتهاماً خطيراً لعائشة في أنها تُظهر عكس ما تبطن! وهي صفة أهل النفاق! ولا شك أن اتهاماً نبوياً على هذه الدرجة من الخطورة، بحيث يشبّه النبي (صلى الله عليه وآله) عائشة بالمرأة التي حاولت إغواء نبي من أنبياء الله؛ هو اتهام يجب التوقف عنده مليّاً، وهو يعطينا صورة واضحة عن شخصية عائشة.

إن صدور هذا الاتهام من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي لا ينطق عن الهوى لا يمكن أن يكون لسبب غير عقلائي، والسبب المذكور هو أن عائشة لم تكن راضية عن أن يغدو أباها إمام الجماعة في الصلاة بسبب رقة قلبه وبكائه في الصلاة! ولئن كان هذا هو السبب الحقيقي فإنه

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج 2 ص128

لا يستأهل أن يصدر من رسول الله (صلى الله عليه وآله) مثل هذا الاتهام الخطير.

إن عائشة إنما اختلقت هذا السبب لتبرير اتهام النبي الموجه لها بما يحفظ صورتها، في حين أن السبب الحقيقي لصدوره هو أنها خالفت الأمر النبوي وزوّرته ودعت أباها لأن يؤم المصلين بدلاً عن الخليفة الشرعي علي بن أبي طالب عليهما السلام. وهذا التفسير أقرب إلى العقل من جهة أن عائشة كانت تتمتع بقدرة فائقة على تحوير الحقائق.

وبملاحظة القرائن الموضوعية الأخرى؛ كمحاولتها نسبة الوصف الذي أطلقته على أبيها بأنه «أسيف» إلى آخرين، ثم اعترافها بأنها هي التي وصفته بذلك؛ يُطمأن إلى أنها عمدت أيضا إلى تحوير السبب الحقيقي لصدور هذا الاتهام النبوي - أي كونها تشبه صواحب يوسف - إلى ما يخرجها عن دائرة الإدانة ويظهرها بمظهر من لا تكترث بأن تميل كفة المصلحة إلى أبيها، إلا أن مطالعة سيرة حياتها تثبت أنها لم تكن لتفوّت أية فرصة لجرّ الخلافة إلى أبيها، بل لم تكن تفوّت أية فرصة لتقديمه وتقريبه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أملاً في أن يكون له موقع سياسي جيد

في المستقبل القريب. وكذا فعلت مع سائر أقربائها، كانت تحاول دائماً أن تجعل الحكم لهم، فتحمّست مثلا لابن عمها طلحة بن عبيد الله، كما تحمّست لابن أختها عبد الله بن الزبير، على ما سبق بيانه في فصول هذا الكتاب.

ومن نافلة القول أن دعوى عائشة أن أبا بكر رجل أسيف رقيق القلب ولا يتمكن من الصلاة بالناس بسبب كثرة بكائه من شدة التقوى والخشوع .. يعني بعبارة أخرى؛ زعمها أن أباها كان أتقى وأخشع من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي كان يؤم المصلين كل يوم متمكناً من أداء هذه الإمامة والصلاة بالجماعة على الوجه الأكمل، دون أن تختل صلاته أو صلاة الناس بسبب رقة قلبه وخشوعه في الصلاة، فكيف تتجرأ عائشة على أن تزايد على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتُظهر أباها بمظهر أنه كان أكثر خشوعاً في الصلاة منه؟!

كان هذا استنطاقنا للبخاري، فلنأتِ الآن لاستنطاق أحمد بن حنبل الذي نجده يروي عن ابن عباس قوله: «لما مَرِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه؛ كان في بيت عائشة، فقال: ادعوا لي عليّاً.

قالت عائشة: ندعو لك أبا بكر؟ قال: ادعوه. قالت حفصة: يا رسول الله ندعو لك عمر؟ قال: ادعوه. قالت أم الفضل: يا رسول الله ندعو لك العباس؟ قال: ادعوه. فلما اجتمعوا رفع رأسه فلم يرَ عليّاً فسكت! فقال عمر: قوموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: مُروا أبا بكر يصلي بالناس. فقالت عائشة: إن أبا بكر رجلٌ حَصِرٌ ومتى ما لا يراك الناس يبكون؛ فلو أمرت عمر يصلي بالناس؟ فخرج أبو بكر فصلى بالناس، ووجد النبي صلى الله عليه وسلم من نفسه خِفّة، فخرج يُهادى بين رَجُلين ورِجْلاه يخطّان في الأرض، فلما رآه الناس سبَّحوا أبا بكر فذهب يتأخر، فأومأ إليه أيْ مكانك، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى جلس. قال: وقام أبو بكر عن يمينه وكان أبو بكر يأتم بالنبي صلى الله عليه وسلم والناس يأتمون بأبي بكر! قال ابن عباس: وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من القراءة من حيث بلغ أبو بكر ومات في مرضه ذاك عليه السلام. وقال وكيع : مرةً فكان أبو بكر يأتم بالنبي صلى الله عليه وسلم والناس يأتمون بأبي بكر».[١]

---

(١) مسند أحمد ج 1 ص356.

إن الذي يلفت الانتباه في هذا الحديث أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد طلب استدعاء أخيه علي بن أبي طالب (عليهما الصلاة والسلام) إلا أن عائشة أقحمت نفسها في ما لا يعنيها وحاولت استدعاء أبيها، وكذلك فعلت صاحبتها حفصة، وأم الفضل. نفهم من ذلك أن الإرادة النبوية كانت تتجه في هذا الموقف إلى الوصي الشرعي، إلا أن المتآمرين على رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانوا يحاولون دائماً تعطيل هذه الإرادة والحيلولة دون اتصال النبي بوصيّه بأي شكل من الأشكال!

ولما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنهم لم يستدعوا وصيّه الشرعي، واستدعوا أبا بكر وعمر والعباس عوضاً عنه «رفع رأسه فلم يرَ عليّاً فسكت» ولم ينطق لهم بكلمة واحدة! وهو ما يعني أنه كان كارهاً لوجودهم، ولا حاجة له فيهم، وقد فهم عمر هذا جيداً إذ قال كما في رواية الطبراني: «قوموا عن النبي صلى الله عليه وسلم فلو كانت له إلينا حاجة ذكرها»![1]

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ج 12 ص89.

وبهذا ندرك أن في رواية أحمد بن حنبل زيادات مكذوبة، حيث نسبوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه سمح بدعوة أبي بكر وعمر والعباس، وهذا كذب لا محالة، إذ لو كانت هذه إرادته حقاً فلماذا لم يحترم وجودهم ولم يتكلم معهم بكلمة واحدة إلى أن قاموا منصرفين بعدما عرفوا أنهم غير مرغوب فيهم وأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنما يريد وصيّه علياً (عليه السلام) وحده؟!

إن هذا التصرف لا يجوز أن يُنسب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأن من القبيح أن يطلب رجلٌ أحداً ثم عندما يأتيه متعنّياً لا يكلّمه بشيء! بل الحقيقة أن عائشة وحفصة وأم الفضل لم يمتثلن أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) باستدعاء علي (عليه السلام) إذ اقتصر استدعاؤهن على أبي بكر وعمر والعباس!

والدليل البيِّنْ على أن إرادة النبي (صلى الله عليه وآله) إنما كانت في تكليف أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بإمامة الجماعة؛ قوله (صلى الله عليه وآله) في بادئ الأمر: «ادعوا لي عليّاً».

ثـم إن ممـا يـلفت الانـتباه في روايـة أحمـد هـذه وروايـتا الـبخاري المتقدّمتيْن زعـم عـائشة وابـن عـباس أن الـنبي (صلى الله عليه وآله) كـان إماماً في تلك الصلاة وقد اقتدى به أبو بكر واقتدى سائر الناس بأبي بكر! غير أنّا نجد أحمد بن حنبل وغيره يروون عن عائشة نفسها أن أبا بكر كان هو الإمام في تلك الصلاة وأن النبي (صلى الله عليه وآله) اقتدى به وصار مأموماً!

روى أحمد بن حنبل عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه: مُروا أبا بكر يصلي بالناس. قالت عائشة: إن أبا بكر رجل أسيف فمتى يقوم مقامك تدركه الرقة! قال النبي صلى الله عليه وسلم: إنكنّ صواحب يوسف! مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس. فصلّى أبو بكر وصلى النبي صلى الله عليه وسلم خلفه قاعداً»![١]

---

(١) مسند أحمد ج 6 ص159

وكذا روى ابن حبان عن عائشة: «إن أبا بكر صلى بالناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف خلفه»![1]

وها أنت ترى أن كِلا القولين مرويّان عن عائشة مع أنهما متضادان! وهذا ما دفع المخالفين إلى اختلاق توجيهات تحفظ ماء وجه عائشة وتبعد عنها تهمة الكذب! من بين تلك التوجيهات ما ذكره ابن حبان في صحيحه[2] من أنهما كانتا صلاتان في الواقع ، إحداهما كان النبي (صلى الله عليه وآله) فيها هو الإمام، والثانية كان أبو بكر فيها الإمام! والأولى كان النبي في طريقه إليها يُهادى بين علي (عليه السلام) والعباس أو الفضل ابنه، والثانية بين جاريتين هما بريرة ونوبة!

وقد فات ابن حبان وأضرابه أن الخبر ذو سياق واحد، وأن الرواي والمروي عنه متحدان غالباً، وأن المنقول باستفاضة يشير إلى صلاة واحدة فقط، إذ يُقال: «الصلاة التي صلاها رسول الله في مرضه التي توفي فيه»، فمن أين جيء بالصلاتين؟!

---

(١) صحيح ابن حبان ج 5 ص483

(٢) صحيح ابن حبان ج 5 ص486

وعجباً! كيف يسمح النبي (صلى الله عليه وآله) لنفسه أن يدخل المسجد مستنداً إلى جاريتين وسط الرجال وأمام مرأى عيونهم أثناء الصلاة؟! ثم عجباً! لماذا ينهض (صلى الله عليه وآله) من فراشه في آخر لحظة في كلتا الصلاتين المزعومتين لينقض قراره بتنصيب أبي بكر إماما للجماعة؟! ألا يجد «في نفسه خِفَّةً» إلا عندما يشرع أبو بكر في الصلاة فيضطر لتحمّل السير إلى المسجد والصلاة بالناس؟!

ثم إن مما هو متفق عليه أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد استشهد عند اشتداد ضحى يوم الإثنين، ومعنى ذلك أنه لم يدرك صلاة الظهر واقتصرت صلاته على الصبح ، فكيف صلّى صلاتيْن في ذلك اليوم حتى يُقال أنه كان في الأولى إماماً وفي الثانية مأموماً؟!

وكيف جاز في الصلاة الثانية المزعومة أن يتقدّم أبو بكر على النبي (صلى الله عليه وآله) ويصير إماماً له؟! والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١] «وهذا استدل به القاضي عياض على أنه لا يجوز لأحد أن يؤمّه صلى الله عليه وسلم، لأنه لا يصح التقدم بين يديه، في الصلاة ولا في غيرها، لا لعذرٍ ولا لغيره، ولقد نهى الله المؤمنين عن ذلك».[٢]

وعلى كل حال فإن الشافعي - إمام المذهب - صرّح بأنها كانت صلاة واحدة، إذ قال ابن حجر العسقلاني: «صرّح الشافعي بأنه صلى الله عليه وسلم لم يصلِّ بالناس في مرض موته في المسجد إلا مرّة واحدة، وهي هذه التي صلى فيها قاعداً، وكان أبو بكر فيها أولاً إماماً ثم صار مأموماً يُسمع الناس التكبير».[٣]

فهي إذن صلاة واحدة لا غير، وما من سببٍ منطقي يجعل النبي (صلى الله عليه وآله) ينهض من فراشه في اللحظات الأخيرة رغم حالته

---

(١)) الحجرات: 2 وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية والتي تلتها قد نزلتا في ذم أبي بكر وعمر (عليهما اللعنة) حيث إنهما تصايحا وتشاجرا بين يدي خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) دون أدنى احترام لمحضره الشريف! قال الجلالان - المحلي والسيوطي - في تفسيرهما الموسوم بتفسير الجلالين عن هذه الآية: «نزلت في مجادلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عند النبي صلى الله عليه وسلم في تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد»!

(٢) سيرة الحلبي ج 3 ص365

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج 2 ص138

الصحية الحرجة ليتقدّم إلى المسجد ويصلي بالناس إلا أنه قد تفاجأ بابن أبي قحافة وقد أمّ المسلمين بلا أمر منه، فأبى إلا أن ينهض من فراشه ويتحمّل ما في ذلك من عناء حتى يعزله عن الإمامة. وإلا لو كانت إمامته بأمر منه (صلى الله عليه وآله) حقاً؛ فلا داعي لأن يتراجع عن قراره خلال دقائق معدودة، وهل ذلك إلا اعتباط! أن يكون قد أمر أبا بكر بإمامة المصلين حين الأذان ثم بمجرّد أن جاء وقت الإقامة وشرع أبو بكر بالصلاة ينهض من فراشه على تلك الحالة الصعبة ويعدل عن قراره بلا سبب وجيه!

نعم؛ إن السبب الذي تطرحه عائشة لهذا التبدّل المفاجئ في موقف رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو أنه «وجد في نفسه خِفَّةً»، إلا أن أحداً من العقلاء لا يمكنه تصديق ذلك! لا فحسب لأن الفاصلة الزمنية ما بين الأذان والإقامة ضئيلة بما يدفع إمكان طروء هذا التحسن الصحي السريع ؛ بل لأن حديث عائشة ينفيه! إذ كيف ينسجم قولها أنه «وجد في نفسه خِفَّةً» مع كونه قد خرج متكئاً على رَجُلَيْن يحملانه ورجلاه يخطان

في الأرض من شدة الإنهاك؟! أليس هذا دليلاً واضحاً على حالته الصحية كانت لا تزال حرجة ومتدهورة وأنه ليس ثمة تحسّناً ههنا؟!

بل إن الإنسان المحتضر كلما تقدّم الوقت به كلما ازدادت حالته سوءاً، وقد اعترفت عائشة بأنه لم يكن يقوى على النهوض والمشي بنفسه إلا بالاعتماد على اثنين كانا يحملانه حملاً، وهو ما يعطينا صورة واضحة عن حالته الصحية الصعبة وأنها كانت أشد عليه من ذي قبل، خاصة إذا لاحظنا أنه (صلى الله عليه وآله) لم يسبق له أن خرج إلى الصلاة معتمداً على آخرين قط. فلا شك إذن أن قيامه كان اضطرارياً وقد تحمّل (صلى الله عليه وآله) ما تحمّله فيه من أجل غاية مهمة تستحق كل هذا العناء في اللحظات الأخيرة من حياته الشريفة، وتلك الغاية لا تكون إلا عزل أبي بكر!

وللخروج من مأزق عزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأبي بكر كما هو ظاهر واضح في متون الروايات؛ ادّعى بعض علماء البكرية أن أبا بكر صلّى بالناس أكثر من صلاة، لا صلاة واحدة ولا صلاتيْن كما اقتصر عليه ادّعاء ابن حبّان المتقدّم! وأن تلك الصلوات بدأت بصلاة

الظهر يوم السبت أو يوم الأحد كما احتمله البيهقي، وأن الصلاة التي صلاها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونحّى فيها أبا بكر عن المحراب كانت صلاة الصبح من يوم الإثنين الذي توفيّ فيه!

وهذه تمحّلات لا أصل لها، انبرى لها علماء البكرية لتصحيح الكذبة الكبرى وهي أن أبا بكر أمّ الناس بأمر النبي وأنه لم يُعزل بل كان ما وقع يوم الإثنين مردّه تحسّن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحبّه للمشاركة في صلاة الجماعة ولم يكن عزلاً لأبي بكر بدليل أن الأخير قد صلّى بالناس من ذي قبل من دون أن يُعزل!

ولا ندري لماذا يستغفل علماء البكرية الناس إلى هذا الحد؟! وكيف يطلبون منهم تصديق هذه التمحّلات الواهية التي يكذّبها الواقع التاريخي؟! وكيف يزعمون أن أبا بكر صلّى بالناس منذ يوم السبت في حين أنه كان منذ ذلك اليوم خارج المدينة المنورة؟!

بيان ذلك: إن المؤرخين أثبتوا أن أبا بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح كانوا من المأمورين بالالتحاق بجيش أسامة بن زيد لغزو الروم،

ذكر ذلك ابن سعد في طبقاته،[١] والذهبي في تاريخه،[٢] وابن الأثير في كامله،[٣] وابن الجوزي في منتظمه،[٤] وغيرهم.

وقد كان تحرّك جيش أسامة من المدينة يوم السبت حيث عسكر في منطقة (الجُرف) كما ذكره ابن حجر العسقلاني في شرحه للبخاري إذ قال: «كان تجهيز أسامة يوم السبت قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بيومين».[٥]

فكيف يكون أبو بكر قد صلّى بالناس بدءاً من يوم السبت في حين أن جيش أسامة نفسه قد تحرّك إلى منطقة الجرف يوم السبت؟! إنه إنْ التحق به منذ البداية فهذا يعني أنه - على أقل تقدير - كان يوم السبت وشطراً من الأحد خارج المدينة مع العسكر، إذ الجُرف تبعد نحو ثلاثة

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 1 ص480

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي - كتاب المغازي ص714

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 2 ص180

(٤) المنتظم لابن الجوزي ج 2 ص458

(٥) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج 8 ص115

أميال من المدينة نحو الشام كما ذكره الحموي في معجمه،[١] فقطعه ستة أميال ذهاباً و إياباً مع العدة والعتاد وما يتخلّل ذلك من الوقوف للاستراحة وما أشبه، لا يستغرق أقلّ من ذلك عادةً.

وعلى هذا لا يمكن الادعاء بأنه صلّى بالناس أكثر من صلاة، بل لا يمكن الادعاء بأنه صلّى بالناس بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله! ذلك لثبوت أنه (صلى الله عليه وآله) قد أمره بالالتحاق بجيش أسامة، ولم يثبت أنه (صلى الله عليه وآله) استثناه من ذلك أو أمر برجوعه، فكيف يأمره بإمامة المصلين والمفروض أنه خارج المدينة في الجُرف تحت إمرة أسامة؟!

بلى؛ إنه قد عاد إلى المدينة ليلة الإثنين بعدما أرسلت إليه عائشة أنْ عُدْ فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) على وشك أن يموت وها قد حانت فرصتك! فعاد هو وصاحباه عمر وأبو عبيدة، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد ثَقُل فلمّا أفاق قال: «لقد طرق ليلتنا هذه المدينةَ شرٌّ عظيم! فقيل له: وما هو يا رسول الله؟ فقال: إن الذين كانوا في جيش أسامة قد

---

(١) معجم البلدان للحموي ج 2 ص128

رجع منهم نفرٌ يخالفون عن أمري، ألا إني إلى الله منهم بريء، ويحكم! نفِّذوا جيش أسامة. فلم يزل يقول ذلك حتى قالها مرات كثيرة».(١)

ولإكمال الصورة نستنطق أخيراً أبا يعقوب اللمعاني إذ يروي عنه ابن أبي الحديد قوله: «كان علي عليه السلام لا يشك أن الأمر له،(٢) وأنه. لا ينازعه فيه أحد من الناس، ولهذا قال له عمّه وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله: امدد يدك أبايعك، فيقول الناس: عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله، فلا يختلف عليك اثنان. قال: ياعمِّ؛ وهل يطمع فيها طامع غيري؟ قال: ستعلم! قال: فإني لا أحب هذا الأمر من وراء رتاج وأحب أن أصحر به.(٣) فسكت عنه.

فلمّا ثَقُل رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه، أنفذ جيش أسامة، وجعل فيه أبا بكر وغيره من أعلام المهاجرين والأنصار، فكان علي عليه

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 28 ص108 عن كتاب سُليم بن قيس الهلالي رضوان الله عليه.

(٢) أي لم يكن يشك أن الخلافة له، فالأمر هو الحكم والإمارة.

(٣) الرتاج : القفل. والإصحار: الإظهار. والمعنى أنه (عليه السلام) لم يكن يحبّ أن يأخذ الخلافة فلتةً بتدبيرات سرية تجري وراء الكواليس استباقا للأحداث! كما فعله خصومه في ما بعد في سقيفة بني ساعدة المشؤومة! و إنما يريد أن يتولاها برضى و إقرار جميع الناس علناً.

السلام حينئذ بوصوله إلى الأمر - إن حدث برسول الله حدث - أوثق، وتغلَّب على ظنه أن المدينة لو مات لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكلية، فيأخذه صفواً عفواً وتتم له البيعة، فلا يتهيأ فسخها لو رام ضدٌّ منازعته عليها، فكان من عود أبي بكر من جيش أسامة بإرسال عائشة إليه و إعلامه بأن رسول الله صلى الله عليه وآله يموت ما كان، ومن حديث الصلاة بالناس ما عُرف، فنسب علي عليه السلام عائشة أنها أمرت بلالاً مولى أبيها أن يأمره فليصلِّ بالناس، لأن رسول الله كما رُوِيَ قال: ليصلِّ بهم أحدهم، ولم يعيّن. وكانت صلاة الصبح ، فخرج رسول الله وهو في آخر رمق يتهادى بين عليٍّ والفضل بن العباس، حتى قام في المحراب كما ورد في الخبر، ثم دخل، فمات ارتفاع الضحى، فجعل[1] يوم صلاتِه حجةً في صرف الأمر إليه. وقال: أيُّكُم يطيب نفساً أن يتقدّم قدميْن قدّمهما رسول الله في الصلاة؟! ولم يحملوا خروج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الصلاة لصرفه عنها، بل لمحافظته على الصلاة مهما أمكن، فبويع على هذه النكتة التي اتهمها علي عليه السلام أنها ابتدأت منها.[2]

---

(١) أي أبو بكر لعنه الله.

(٢) أي من عائشة التي دبّرت هذا الأمر لأبيها حتى يقتنص الخلافة!

وكان علي عليه السلام يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيراً، ويقول: إنه لم يَقُلْ صلى الله عليه وآله: إنكن لصويحبات يوسف؛ إلا إنكاراً لهذه الحال، وغضباً منها، لأنها وحفصة تبادرتا إلى تعيين أبويهما، وأنه استدركها بخروجه وصرفه عن المحراب، فلم يُجدِ ذلك ولا أثّر مع قوة الداعي الذي كان يدعو إلى أبي بكر ويمهّد له قاعدة الأمر، وتقرّرِ حاله في نفوس الناس ومن اتبعه على ذلك من أعيان المهاجرين والأنصار، ولما ساعد ذلك من الحظ الفلكي والأمر السمائي الذي جمع عليه القلوب والأهواء، فكانت هذه الحال عند عليٍّ أعظم من كل عظيم، وهي الطامة الكبرى والمصيبة العظمى! ولم ينسبها إلا إلى عائشة وحدها! ولا علّق الأمر الواقع إلا بها! فدعا عليها في خلواته وبين خواصّه! وتظلّم إلى الله منها! (...) فقلتُ له رحمه الله: أ فتقول أنت إن عائشة عيّنت أباها للصلاة ورسول الله لم يعيّنه؟! فقال: أما أنا فلا أقول ذلك، ولكن عليا كان يقوله! وتكليفي غير تكليفه، كان حاضراً ولم أكن حاضراً! فأنا محجوج بالأخبار التي اتصلت بي وهي تتضمّن تعيين النبي صلى الله عليه وآله لأبي

بكر في الصلاة، وهو محجوج بما كان قد عَلِمَهُ أو يغلب على ظنّه من الحال التي كان حضرها».[١]

إن هذه الرواية المهمة تثبت حزمة من الأمور، منها أن أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) لم يكن يشك أن الخلافة هي حق شرعي له، وأن المتهم أبا بكر كان في فترة مرض رسول الله (صلى الله عليه وآله) مأموراً من قبله بالالتحاق بجيش أسامة بن زيد لقتال الروم وهو الجيش الذي كان معسكراً خارج المدينة، وأن عائشة هي التي أوصلت إلى أبيها معلومة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يموت، فعاد أبو بكر أدراجه مخالفاً وعاصياً لأمره! وأن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يأمره قط بإمامة المصلين غير أن عائشة استغلت الموقف فتقوّلت عليه (صلى الله عليه وآله) وأمرت بلالاً بأن يدعو أباها للصلاة بالناس بدعوى أنه (صلى الله عليه وآله) قد أمر بذلك! وأن أمير المؤمنين (عليه السلام) أثبت هذه الجريمة لها وأنه كان يدعو عليها في خلواته وبين خواصّه، كما كان (عليه السلام) يتظلّم إلى الله منها.

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 9 ص198.

الحق أن عائشة كانت ركناً من أركان الانقلاب على رسول الله وعترته الطاهرة (عليهم الصلاة والسلام) ولولاها لما استطاع أبو بكر الوصول إلى سدة الحكم، ولا عمر من بعده، ولا مَن جاء بعدهما من حكام بني أمية وبني العباس وأضرابهم إلى حكام عصرنا هذا! فانظر أي شر وسوء جلبته هذه المرأة لهذه الأمة! وانظر كيف خدعتها بمكرها ودهائها إذ لا يزال الأغبياء يردّدون أن النبي (صلى الله عليه وآله) أمر أبا بكر بأن يخلفه في إمامة المصلين وهذه إشارة منه إلى أنه خليفته من بعده في قيادة الأمة! والحال أن هذه لم تكن إلا مؤامرة نفذتها عائشة وأكذوبة روّجتها، و إلا فالمقطوع به أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد نحّاه وعزله، فلو كان مرضيّاً عنده في أن يؤم الناس لما قام وتحمّل المشقة لتنحيته.

هكذا هي الحميراء.. السم الزُّعاف! سيدة الدهاء والمكر والحيلة!

بين سَحرها ونحرِها رامت للحقيقة نحرَها بسِحرها![١]

رغم كل الذي يظهر على أحاديث عائشة من اضطراب وتهافت، وكل الذي يُلمس في أقوالها من نكارة وعدم اتزان؛ إلا أن المخالفين مازالوا يستندون إلى تلك الأحاديث والأقوال ويبنون عليها معتقداتهم وأحكامهم وكأنها في حجّيتها تعادل حجّية كتاب الله تعالى!

ولسنا نجد داعياً وجيهاً لهذه الحالة التي يعيشها المخالفون إلا افتتانهم بأمهم عائشة كما يفتتن المسحور بساحره! فكأن أحاديثها وأقوالها لها مفعول السحر إذ ينساق المخالفون إلى الإيمان بها دونما التفات إلى علّاتها أصلاً.

(١) من الفصل الثاني من كتاب الفاحشة ص٤٢٧

والإنصاف أن ما كانت تحبكه عائشة من قصص تستدرّ بها العواطف الجيّاشة، وما كانت تنثره من كلام تستهوي به النفوس الميّالة؛ يُشعر بأنها كانت تمتلك قدرة نادرة على التأثير، وأنها كانت تعرف جيداً كيف تترك تأثيراً سحرياً على مَن يتلقّى منها شيئاً، بحيث يتعطّل عقل هذا المتلقّي حين تلقّيه إذ ينشغل قلبه بما تلقّاه.[١]

ومن نماذج ما جاءت به عائشة مما انطلى على العقول والأذهان؛ زعمها أن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) استشهد بين سَحْرِها

(١) يوقفك على شدة تأثير عائشة على الناس أنهم انساقوا إلى خطاباتها انسياقاً عجيباً، فقتلوا عثمان بعدما أفتت بكفره! وخاضوا حرباً مدمّرة ضد أمير المؤمنين (عليه السلام) بعدما نادت بقتاله! ولم يكد أحدٌ ليتمكّن من الإفلات من تأثير سِحر عائشة والخضوع لها إلا بالاستعانة بالله تعالى، حتى أن رجلاً كأبي ثابت مولى أبي ذر كاد أن يزيغ حين رآها واقفة في معركة الجمل رغم أنه قد تربّى عند أحد حواريّي أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو أبو ذر الغفاري رضوان الله عليه!

روى الحاكم في المستدرك ج 3 ص134 عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: «كنت مع علي رضي الله عنه يوم الجمل، فلمّا رأيتُ عائشة واقفة دخلني بعض ما يدخل الناس، فكشف الله عني ذلك عند صلاة الظهر، فقاتلتُ مع أمير المؤمنين، فلمّا فرغ ذهبتُ إلى المدينة فأتيتُ أم سلمة فقلت: إني والله ما جئت أسأل طعاماً ولا شراباً ولكني مولىً لأبي ذر. فقالت: مرحبا. فقصصتُ عليها قصتي فقالت: أين كنتَ حين طارت القلوب مطائرها؟ قلتُ: إلى حيث كشف الله ذلك عني عند زوال الشمس. قالت: أحسنتَ! سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يتفرّقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض».

ونَحرِها أو بين حاقِنَتها وذاقِنَتها![1] أي أنها كانت أقرب الناس عهداً به صلى الله عليه وآله.

وقد أرادت المرأة من وراء هذا الادّعاء أمريْن أساسيّيْن، أوّلهما اختراع فضيلة لنفسها بأنها كانت أقرب الناس عهدا برسول الله (صلى الله عليه وآله) مع ما أضافته إلى ذلك من «بهارات مناقبية» من قبيل أنه قد اجتمع رِيقُه بريقِها حين موته! وثانيهما تكذيب كون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما الصلاة والسلام) وصياً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) باعتبار أنها كانت أقرب الناس عهداً به ولم تسمعه يوصي إليه بشيء!

وأحاديث عائشة في هذا الادّعاء كثيرة، منها ما رواه البخاري بسنده عن أبي عمرو ذكوان مولى عائشة قال: «أن عائشة كانت تقول: إن من نِعَم الله عليَّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي وفي يومي وبين سَحْري ونَحْري! وأن الله جمع بين رِيقي ورِيقه عند موته! دخل عليَّ عبد

---

(١)) السَّحْر: الرئة، والنَّحر معروف. والحاقنة: ما بين التَّرْقُوَة والعُنُق، والذاقنة: أسفل البطن. تريد أن النبي (صلى الله عليه وآله) استشهد بينما كان رأسه الشريف في حِجرها وهي تحتضنه.

الرحمن وبيده السِّواك وأنا مُسْنِدَةٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأيتُهُ ينظر إليه وعرفتُ أنه يُحبُّ السواك، فقلتُ: آخذهُ لك؟ فأشار برأسه أنْ نعم، فتناولتُه فاشتدّ عليه وقلتُ: أُلِيِّنُهُ لك؟ فأشار برأسه أنْ نعم، فليَّنْتُهُ فأَمَرَّهُ وبين يديه رَكْوَةٌ أو عُلْبَةٌ يشكُّ عمر فيها ماءً، فجعل يُدخِلُ يديْه في الماء فيمسحُ بها وجهه يقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات! ثم نصب يده فجعل يقول: في الرفيق الأعلى، حتى قُبِضَ ومالَتْ يده».(١)

ومنها ما رواه البخاري أيضاً عن هشام بن عروة قال: «أخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟ يريد يوم عائشة! فأَذِنَ له أزواجُه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها. قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور عليَّ فيه في بيتي، قبضه الله وإن رأسه لَبَيْنَ نَحري وسَحري، وخالط ريقه ريقي»!(٢)

(١) صحيح البخاري ج 5 ص141

(٢) صحيح البخاري ج 5 ص142

ومنها ما رواه البخاري أيضاً عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت: «مات النبي صلى الله عليه وسلم و إنه لَبَيْن حاقنتي وذاقنتي، فلا أكره شدة الموت لأحدٍ أبداً بعد النبي صلى الله عليه وسلم».(١)

وفي جحودها لكون علي (عليه السلام) وصياً روى البخاري بسنده عن إبراهيم عن الأسود قال: «ذكروا عند عائشة أن عليا رضي الله عنهما كان وصياً، فقالت: متى أوصى إليه؟! وقد كنتُ مسندته إلى صدري - أو قالت: حِجري - فدعا بالطست، فلقد انخنث في حجري فما شعرتُ أنه قد مات، فمتى أوصى إليه»؟!(٢)

وفي رواية البيهقي عن الأسود قال: «قيل لعائشة رضي الله عنها: إنهم يقولون أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى إلى علي رضي الله عنه. فقالت: بما أوصى إلى علي؟! وقد رأيتُه دعا بطست ليبول فيها وأنا مُسندته إلى صدري فانخنث - أو قالت: فانخنثتُ - فمات وما شعرتُ، فبِمَ يقول هؤلاء أنه أوصى إلى علي»؟!(٣)

(١) صحيح البخاري ج 5 ص140
(٢) صحيح البخاري ج 3 ص186
(٣) السنن الكبرى ج 1 ص99

إنّا لو أعرضنا عمّا عُهِد من كذب عائشة واختلاقاتها، وكذا لو أعرضنا عمّا في أحاديثها هذه مما لا يليق بجناب النبوة كتصويرها أنه (صلى الله عليه وآله) رجلٌ زيرٌ لا همّ له إلا الارتماء في حِجرها فلذا يسأل: «أين أنا غدا؟! أين أنا غدا»؟! وكزعمها أنه (صلى الله عليه وآله) «دعا بطست ليبول فيها» فكأنه كان حاقناً لا يستحي من فِعل هذا أمام مرأى امرأته مع أنه على مقربة من لقاء الله تعالى! أقول: لو أنّا أعرضنا عن هذا كلّه لما كان لنا أن نقبل بأحاديث عائشة هذه، لأنها أولاً مروية عنها وحدها ولا نكاد نجد شاهد صدقٍ عليها، وثانياً لأن الأحاديث المستفيضة نصّت على أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد استشهد ورأسه في حجر أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث كان أقرب الناس عهداً به وقد أوصى إليه.

ومن تلك الأحاديث ما رواه أحمد بن حنبل والحاكم عن أم المؤمنين أم سلمة (رضوان الله عليها) قالت: «والذي أحلف به إنْ كان عليٌّ لأقرب الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: عُدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم غَداةً بعد غداةٍ يقول: جاء علي؟! مراراً. قالت: وأظنه كان

بعثه في حاجة. قالت: فجاء بعْدُ، فظننتُ أن له إليه حاجة فخرجنا من البيت، فقعدنا عند الباب، فكنت من أدناهم إلى الباب، فأكبَّ عليه عليٌّ فجعل يُسارُّهُ ويُناجيه، ثم قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه ذلك، فكان أقرب الناس به عهداً». [١]

فلاحظ ههنا كيف أن أم سلمة (رضوان الله عليها) تحلف بالله تعالى على أن علياً (سلام الله عليه) كان أقرب الناس عهداً بالنبي صلى الله عليه وآله. ومعلومٌ أنه لا يمكن لمثل هذه السيدة الجليلة أن تستحلّ الحلف بالله ما لم تكن واثقة مما تقول تمام الوثوق، فلا يكون مجال لتصديق دعوى عائشة المناقضة.

وفي تكذيبه لدعوى عائشة أومأ ابن عباس إلى أن المصدّق بهذه الدعوى يكون فاقداً لعقله! وذلك ما رواه ابن سعد عن الواقدي بسنده عن أبي غطفان قال: «سألتُ ابن عباس: أَرأيتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ورأسه في حِجر أحد؟ قال: توفي وهو لمستند إلى صدر علي. قلتُ: فإن عروة حدّثني عن عائشة أنها قالت: توفي رسول الله صلى الله

(١) مسند أحمد بن حنبل ج 6 ص300 ومستدرك الحاكم ج 3 ص138 وقد حكم بصحّته.

عليه وسلم بين سَحري ونَحري! فقال ابن عباس: أَ تعقل؟! والله لتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم و إنه لمستند إلى صدر علي، وهو الذي غسّله

وأخي الفضل بن عباس، وأبى أبي أن يحضر وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا أن نستتر، فكان عند الستر».[١]

وقد كانت هذه الحقيقة من الاشتهار بمكان لا يدع حتى خصوم علي (صلوات الله عليه) في الصدر الأول إلا أن يذعنوا بها، فهذا عمر بن الخطاب (لعنه الله) حين سأله كعب الأحبار (لعنه الله) عن آخر كلام النبي (صلى الله عليه وآله) قبل أن يفارق الحياة، قال له: «سَلْ علياً» لأنه كان أقرب الناس عهداً به، فقد روى الواقدي عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضوان الله عليه: «أن كعب الأحبار قام زمن عمر فقال ونحن جلوسٌ عند عمر أمير المؤمنين: ما كان آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عمر: سَلْ علياً. قال: أين هو؟ قال: هو هنا. فسأله فقال علي: أسندته إلى صدري فوضع رأسه على منكبي فقال: الصلاة الصلاة! فقال كعب: كذلك آخر عهد الأنبياء وبه أُمِروا وعليه يُبعَثون.

---

(١) طبقات ابن سعد ج 2 ص263 عن الواقدي

قال: فمن غسَّله يا أمير المؤمنين؟ قال: سَلْ علياً. قال: فسأله فقال: كنتُ أغسّله وكان العباس جالساً وكان أسامة وشقران يختلفان إليَّ بالماء».[١]

فإحالة عمر كعب الأحبار على أمير المؤمنين (عليه السلام) يكشف عن علمه القطعي بأنه كان بالفعل أقرب الناس عهداً بالنبي (صلى الله عليه وآله) حيث سمع منه آخر ما تكلم به، ولو لم يكن الأمر كذلك كما تدّعيه عائشة لكان على عمر أن يقول لكعب: «سَلْ عائشة»!

ومن خصوم علي (عليه السلام) ومناوئيه الذين أقرّوا بذلك؛ أبو عمر الشعبي لعنه الله، فقد قال: «توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه في حِجْرِ علي، وغسّله علي والفضل محتضِنُه، وأسامة يناول الفضلَ الماء».[٢]

والروايات في هذا عن طريق أئمة أهل البيت النبوي (صلوات الله عليهم) متواترة، وقد روى المخالفون بعضها أيضا، كما في رواية ابن سعد

(١) طبقات ابن سعد ج 2 ص262 عن الواقدي

(٢)) المصدر نفسه ج 2 ص263 عن الواقدي، والشعبي هذا ناصبي مشهور بلغ به النُّصب مبلغ أنه كان يحلف بالله قائلاً: «لقد دخل عليٌّ حفرته وما قرأ القرآن»! كما في المعرفة والتاريخ لابن سفيان الفسوي ج 1 ص259

عن الواقدي بسنده عن الإمام علي ابن الحسين زين العابدين صلوات الله عليهما: «قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأسه في حِجْر علي»[١]

وصاحب الشأن نفسه - أعني أمير المؤمنين علياً عليه السلام - ما فتئ يذكر ذلك في أحاديثه ويعلنه في خطبه ويحتجّ به حتى سارت به الركبان واشتُهر على كل لسان، فهو القائل كما في نهج البلاغة: «ولقد عَلِمَ المستحفَظون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أني لم أرد على الله ولا على رسوله ساعة قط، ولقد واسيتُه بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وتتأخر فيها الأقدام، نجدة أكرمني الله بها، ولقد قُبِضَ صلى الله عليه وآله وإن رأسه لعلى صدري، ولقد سالت نفسه في كفّي، فأمررتها على وجهي، ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله، والملائكة أعواني، فضجّت الدار والأفنية، ملأ يهبط وملأ يعرج، وما فارقت سمعي هَيْنمةٌ منهم يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه، فمن ذا أحق به مني حياً وميتاً»؟![٢]

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) نهج البلاغة ج 2 الخطبة رقم: 197، والهينمة: الصوت الخفي.

وهو (صلوات الله عليه) القائل حين دفن الصديقة الشهيدة الزهراء صلوات الله عليها: «السلام عليك يا رسول الله، عني وعن ابنتك النازلة في جوارك، والسريعة اللحاق بك. قَلَّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري! ورَقَّ عنها تجلُّدي! إلا أن لي في التأسي بعظيم فرقتك، وفادح مصيبتك؛ موضع تعزٍّ، فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك، فإنا لله و إنا إليه راجعون، فلقد استُرجِعَت الوديعة! وأُخِذَت الرهينة! أما حزني فسرمد! وأما ليلي فمسهَّد! إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم. وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها! فأحفِها السؤال، واستخبرها الحال، هذا ولم يَطُل العهد، ولم يخلُ منك الذكر! والسلام عليكما سلام مودّع لا قالٍ ولا سَئِم، فإن أنصرف فلا عن ملالة، و إن أُقِمْ فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين».[١]

وقد روى ابن سعد عن الواقدي بسنده عن عمر بن علي: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه: ادعوا لي أخي. قال: فدُعِيَ له علي فقال: ادنُ منّي، فدنوتُ منه، فاستندَ إليَّ، فلم يزل مستنداً و إنه ليكلّمني حتى إن

---

(١) نهج البلاغة ج 2 الخطبة رقم: 202

بعض ريق النبي صلى الله عليه وسلم ليصيبني، ثم نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم وثَقُلَ في حِجْري، فصحتُ: يا عباس أدركني فإني هالك! فجاء العباس، فكان جهدهما جميعاً أن أضجعاه».[١]

فهذه أحاديث وخطب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وفيها النصّ الصريح الأكيد على أنه كان أقرب الناس عهداً بخاتم المرسلين صلى الله عليه وآله الطاهرين، وأنه استشهد وهو في حِجره حتى سالت نفسه الشريفة بيده وأمرّها على وجهه. ومحاولات عائشة لتحريف ذلك باتت مكشوفة مفضوحة، فقد سرقت في بعض أحاديثها الألفاظ التي وردت في أحاديث الإمام (عليه السلام) واستبدلت بعضها بألفاظ مرادفة أخرى فيما أبقت عليها بعينها في أحاديث أخرى، ففي حين قال الإمام: «ولقد قُبِضَ صلى الله عليه وآله و إن رأسه لعلى صدري» قالت هي: «وقد كنتُ مسندته إلى صدري»! وفي حين قال الإمام: «وفاضت بين نحري وصدري نفسك» قالت هي: «قبضه الله و إن رأسه لَبَيْن نَحري وسَحري.. بين حاقنتي وذاقنتي»! وفي حين قال الإمام عليه السلام: « حتى إن بعض ريق

(١) طبقات ابن سعد ج 2 ص263 عن الواقدي.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليصيبني» قالت هي: «وخالط ريقه ريقي»! وهكذا كانت المرأة تتعقّب كل أحاديث أهل بيت النبوة (عليهم السلام) حتى تضع قبالتها نسخاً مزوّرة عنها تفخّم بها شأنها!

غير أن الدهشة تصيبك حين تعلم بأن عائشة عادت في آخر عمرها لتعترف بأن النبي (صلى الله عليه وآله) قُبِضَ عند علي (عليه السلام) فتلقى نفسه بيده فمسح بها وجهه! وأن ذلك مما رواه المخالفون عنها أيضاً!

فقد أخرج أبو يعلى الموصلي بسنده عن جميع بن عمير أن أمّه وخالته دخلتا على عائشة فقالتا لها في جملة ما قالتا: «أخبرينا عن علي؟ قالت: أيَّ شيءٍ تسألُنّ عن رجلٍ وضع يده من رسول الله صلى الله عليه وسلم موضعاً فسالتْ نفسُه في يده فمسح بها وجهه، واختلفوا في دفنه فقال: إن أحبّ البقاع إلى الله مكان قبض فيه نبيه، قالتا: فلِمَ خرجتِ عليه؟ قالت: أمرٌ قُضِيَ لوددتُ أنْ أفديه ما على الأرض»![1]

(١)) مسند أبي يعلى ج 10 ص125 وعنه المطالب العالية لابن حجر العسقلاني ج 12 ص400 وتاريخ دمشق لابن عساكر ج 3 ص15، وهو كاشف عن اعتقادها (لعنها الله) بالجبر وأن العباد لا خِيَرة لهم في أمرهم.

وأخرج الدارقطني بسنده عن علقمة بن الأسود عن عائشة قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيتها لما حضره الموت: ادعوا لي حبيبي. فدعوتُ له أبا بكر، فلمّا نظر إليه وضع رأسه! ثم قال: ادعوا لي حبيبي. فدعوا له عمر، فلمّا نظر إليه وضع رأسه! ثم قال: ادعوا لي حبيبي. فقلتُ: ويلكم! ادعوا له علي بن أبي طالب، فوالله ما يريد غيره! فلمّا رآه أفرد الثوب الذي كان عليه ثم أدخله فيه، فلم يزل يحتضنه حتى قُبِضَ ويده عليه».[١]

فبعد كل هذا؛ كيف لنا أن نصدّق أحاديث عائشة التي زعمت فيها أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد استشهد بين سَحرها ونَحرها؟! إذ إن هذه الأحاديث لم تُروَ إلا عنها فحسب، وتعارضها أحاديث أخرى متواترة ومستفيضة من طرق أهل الحق وأهل الخلاف تنصّ على أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد استشهد وهو مستند إلى صدر علي صلوات الله عليه، وبعض هذه الأحاديث مروية عن أعداء علي عليه السلام، بل بعضها قد

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ج 42 ص393 عن الدارقطني، ومنه تعرف من هو حبيب رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن هم الذين يكره رسول الله (صلى الله عليه وآله) حضورهم عنده في آخر ساعة من حياته الشريفة!

رُوي عن عائشة نفسها فنقضت بذلك أحاديثها الأولى! والفضل ما شهدت به الأعداء. وبعدُ فإن ما جاء في هذه الأحاديث أليق بساحة النبوة مما جاء في أحاديث عائشة الكاذبة المفترية!

وأما إنكارها لكون علي (صلوات الله عليه) وصياً للنبي (صلى الله عليه وآله) فتكفينا في ردّه ودحضه الإشارة إلى أن أحد أئمة أهل الخلاف وهو الشوكاني كان قد ألّف رسالة مفصلة سمّاها «العقد الثمين في إثبات وصاية أمير المؤمنين» تكفّل فيها بالردّ على عائشة في هذا الشأن، حيث ساق الأدلة والبراهين على كونه (عليه الصلاة والسلام) وصياً لأخيه رسول الله صلى الله عليه وآله. وقد خلص في رسالته إلى القول: «إن عدم علم عائشة بالوصية لا يستلزم عدمها، ونفيها لا ينافي الوقوع ، وغاية ما في كلامها الإخبار بعدم علمها، وقد عَلِمَ غيرُها، ومَن عَلِمَ حجةٌ على من لم يعلم (...) والواجب علينا الإيمان بأن عليا عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يلزمنا التعرض للتفاصيل الموصى بها، فقد ثبت أنه أمره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، وعيّن له علاماتهم، وأودعه جملاً

من العلوم، وأمره بأمور خاصة كما سلف، فجَعْلُ الموصى بها فرداً منها ليس من دأب المنصفين». [١]

إن إدانة عائشة تأتي من فيها تارة، ومن أفواه أتباعها تارة أخرى! فالحمد لله الذي يقضي للحق على لسانها وألسنتهم.

---

(١) راجع رسالة العقد الثمين للشوكاني، ولا يخفى أن معنى الوصية عندهم أخصّ من المعنى الذي عندنا إذ هو عندنا الوصية بالخلافة والإمامة، إلا أن أصل الوصية لعلي (عليه السلام) يثبت وهو الردّ على عائشة في نفيها الوصية مطلقاً.

استيلاؤها على الحجرة النبوية جعلته فضيلة!

كما هو ديدنها المعتاد؛ كانت عائشة تنشر وتردّد فضائل ومناقب لنفسها لا حقيقة لها، والأطرف أنها كانت تتبجّح بما هو في واقع الأمر ذنب ومنقصة لها لكنّها بدهائها ومكرها تقلبه إلى فضل ومكرمة! ومن ذلك ما مرّ عليك في قصة الإفك التي حرّفتها بشكل مثير للدهشة حتى جعلت نفسها في موقع الضحية المجني عليها بدلاً من كونها الجانية المفترية!

ومن أكثر أحاديث عائشة إمعاناً في التبجّح ما رواه الواقدي عنها من قولها: «فُضِّلْتُ على نساء النبي بعشرٍ! قيل: ما هُنَّ يا أم المؤمنين؟ قالت: لم ينكح بكراً قطُّ غيري! ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري! وأنزل الله عزّ وجلّ براءتي من السماء! وجاء جبريل بصورتي من

السماء في حريرة فقال: تزوّجها فإنها امرأتك! فكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيري! وكان يصلّي وأنا معترضةٌ بين يديه ولم يكن يفعل ذلك بأحدٍ من نسائه غيري! وكان ينزل عليه الوحي وهو معي ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحد من نسائه غيري! وقبض الله نفسه وهو بين سَحري ونَحري! ومات في الليلة التي كان يدور عليّ فيها ودُفِنَ في بيتي»!(١)

وقد تساقط من خلال البحوث السابقة جُلُّ ما ذكرته عائشة في حديثها هذا من فضائل مكذوبة أو منحولة، كدعوى كونها بكراً وأن الله أنزل براءتها من السماء وأن جبريل جاء بصورتها وأن الوحي كان يأتي وهي في لحافها وأن النبيّ (صلى الله عليه وآله) قُبِضَ بين سَحرها ونَحرها!

ولا يتبقى من هذه الفضائل المدّعاة سوى ثلاث:

أولاها أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيرها! ولا ندري ما وجه الفضيلة في ذلك فإنه على فرض صحّته يكون

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 8 ص64 عن الواقدي

الفضل لغيرها أي أبواها وليس كون المرء ابناً لفلان الماجد يقتضي أن يفضَّل على غيره ودونك ابنُ نوح النبي (عليه السلام) مثالاً! على أنك عرفت من الفصل الأول -من كتاب الفاحشة- مَن يكون أبوها ومَن تكون أمّها وأيٌّ مثالب. ومعايب. فيهما تجعلهما لمن ينتسب. إليهما معرّة لا مفخرة!

وثانيتها أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يصلّي وهي معترضة بين يديه! وسيوافيك في الفصل التالي أنها في حقيقة الأمر واحدةٌ من مظاهر سوء أدبها تجاه مقام خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) لا فضيلة تستحق أن تُذكر! فترقّب.

وأما ثالثتها فهذا المبحث معقود لأجل بيان الحقّ فيها، وأنها من قبيل تلك الفضائل التي كانت تهذي بها عائشة والتي هي في الواقع مثالب وجرائم قلبتها إلى فضائل ومناقب! فدعوى أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد دُفِنَ في حجرتها أو بيتها - وهي الدعوى التي يدندن بها المفتونون بعائشة إلى اليوم - ليست إلا قضية مكذوبة بالتمعّن في الأدلة الروائية

والتاريخية التي تنفي ذلك بما فيها تلك التي سجّلتها مصادر هؤلاء المفتونين أنفسهم قبل مصادر غيرهم!

وسنقسم البحث إلى جانبين، الأول نفنّد فيه أكذوبة كونه (صلى الله عليه وآله) مدفوناً في بيتها، والثاني أن الشرع لم يملّك عائشة الحجرة النبوية الشريفة ولا حتى الحجرة التي كانت تسكن فيها، وإنما هي قد استولت على تلك وضمّتها إلى هذه وتصرّفت في الكلّ كيفما شاءت حتى أنها وهبته لابن أختها عبد الله بن الزبير!

ونبدأ بالجانب الأول؛ حيث نقول فيه إن الأدلة كشفت اللثام عن أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) لا يمكن أن يكون قد دُفِن في حجرة عائشة مهما اجتهدت هي وأنصارها في إشاعة ذلك بين الناس خداعاً واستغفالاً.

- ومن تلك الأدلة ما رواه أحمد بن حنبل والبيهقي وابن هشام والطبري وابن كثير عن ابن إسحاق بسنده عن عائشة قالت: «والله ما

علمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوت المساحي من آخر الليل ليلة الأربعاء».[١]

وحديثها هذا يشير إلى أن الدفن لم يكن في حجرتها و إلا لكانت قد شهدته أو علمت بمقدّماته على الأقل، فهي تصرّح بأنها لم تعلم بدفنه (صلى الله عليه وآله) مطلقاً حتى فجئها سماع صوت المساحي في آخر ليلة الأربعاء، الأمر الذي يعني أن حجرتها هي حجرة أخرى غير التي دُفن فيها النبي (صلى الله عليه وآله) بيد أنها ليست ببعيدة عنها بحيث أن صوت المساحي التي تعمل يصل إليها. ومفاد الحديث يستبعد احتمال أن تكون حينذاك خارج حجرتها ولذا لم تعلم حتى سمعت صوت المساحي، إذ الوقت كان «آخر الليل» والمرأة في ذلك المجتمع لا تكون في غير مسكنها في ذلك الوقت المتأخر، كما أنه لا احتمال لأن تكون قد انتقلت إلى مسكن آخر مؤقتاً مثلاً إذ ذلك لم يرد في شيء من الحديث

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج 6 ص62 وسنن البيهقي ج 3 ص409 والسيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص1087 وتاريخ الطبري ج 2 ص452 والسيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص538 وغيرهم كثير. والمساحي: آلات الحديد المعروفة التي يُجرف بها الطين وتُحفر الأرض بها.

والتاريخ لا في شأنها ولا في شأن بقية أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) بعد استشهاده.

- ومن الأدلة ما رواه البخاري وابن عساكر عن محمد بن أبي فديك عن محمد بن هلال: «أنه رأى حُجَر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من جريدٍ مستورة بمسوح الشعر، فسألته عن بيت عائشة؟ فقال: كان بابه من وجهة الشام. فقلت: مصراعاً كان أو مصراعين؟ قال: كان باباً واحداً. قلت: من أي شيء كان؟ قال: من عرعر أو ساج ».[١]

إن سؤال ابن أبي فديك لابن هلال عن بيت عائشة يدلّ بحدّ ذاته على أن بيتها كان منفصلاً عن موضع قبر النبي صلى الله عليه وآله، وإلا فإن أحداً من المسلمين لا يشتبه في موضع قبره (صلى الله عليه وآله) ولا في صفة البيت الذي يحويه حتى يسأل عنه، ولو كان القبر في بيت عائشة حقاً لما اقتضى هذا أن يُسأل عن بيتها، إذ هو معلومٌ ظاهرٌ مُعايَنٌ للكافة ولا يخطئه أحد إذ فيه القبر الطاهر. وسؤال ابن أبي فديك كاشف عن أن الناس كانت تحتاج إلى أن تسأل للتمييز بين حُجَر أزواج النبي (صلى الله

[١] الأدب المفرد للبخاري ص168 وخلاصة الوفا للسمهودي ص138 عن ابن عساكر.

عليه وآله) لأنها كانت متلاصقة متشابهة مستورة بمسوح الشعر، فلا يُعلم أيها لعائشة وأيّها لسودة وأيّها لحفصة وأيّها لأم سلمة وهكذا..

لا يُقال: إن سؤال ابن أبي فديك كان بداعي معرفة صفة بيت عائشة في الزمان السابق لا بداعي تعيين موضعه في الزمان الحالي، فلا دلالة على أنه كان مغايراً لموضع دفن النبي صلى الله عليه وآله. لأنه يُقال: إن في الخبر نفسه قرينة على المغايرة وأن المقصود بالسؤال هو تمييز حجرة عائشة عمّا سواها من حُجَر سائر الأزواج لا السؤال عن الحجرة النبوية الشريفة التي فيها مرقد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فقد جاء في جواب ابن هلال عن بيت عائشة أنه «كان بابه من وجهة الشام» أي الشمال وأنه «كان باباً واحداً» وهذا خلاف واقع الحجرة الشريفة منذ بنائها، فإن لها بابيْن لا باباً واحداً! الأول هو من وجهة الغرب وهو المعروف بباب الوفود الذي يفتح على الروضة الشريفة حيث كان النبي (صلى الله عليه وآله) يدخل منه إلى المسجد ليؤم الناس كما كانت الوفود تفد عليه منه لتجتمع به في حجرته، وهذا الباب هو بحذاء أسطوانة أمير المؤمنين (عليه السلام) التي تسمى أيضاً أسطوانة الحرس لأنه كان يجلس

عندها حارساً للنبي صلى الله عليه وآله. والباب الآخر هو باب الخروج الذي ذكرته الأحاديث والروايات، ومنها ما رواه أحمد بن حنبل وابن عساكر من أن الناس حينما أرادوا الصلاة على جنازة رسول الله (صلى الله عليه وآله) دخلوا إلى حجرته «أرسالاً أرسالاً، فكانوا يدخلون من هذا الباب فيصلّون عليه ثم يخرجون من الباب الآخر».[1]

وعلى هذا فإن للحجرة النبوية الشريفة بابيْن، فيما حجرة عائشة كان لها باب واحد، ويعني هذا أن الحجرة الشريفة غير حجرتها. فإن قيل: إن قول ابن هلال: «كان باباً واحداً» يعود على سؤال ابن أبي فديك عمّا إذا كان باب بيت عائشة مصراعاً أو مصراعين، فيكون المعنى أنه كان ذا مصراع واحد، ولا ينفي بذلك وجود باب آخر له. قلنا في الجواب: لو سلّمنا جدلاً بذلك فإنه نصّ أيضاً على أن هذا الباب كان من وجهة الشام أي الشمال، فيما المعلوم أن للحجرة النبوية الشريفة باباً هو من وجهة الغرب هو باب الوفود وهو باقٍ إلى اليوم، وحيث لم يُشِرْ إليه مع كونه الأشهر واقتصر بعبارة تستبطن الحصر على ذلك الباب بقوله:

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج 5 ص81 وتاريخ دمشق لابن عساكر ج 4 ص296، والأرسال: الجماعات.

«كان بابه من وجهة الشام» فتبقى المغايرة على حالها ولا يمكن أن تكون هذه الحجرة هي نفسها الحجرة التي ضمّت جسد خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

- ومن الأدلة ما رواه النسائي عن العلاء بن عيزار قال: «سألتُ ابن عمر عن علي فقال: انظر إلى منزله من نبي الله صلى الله عليه وسلم، ليس في المسجد غير بيته».[١]

وعليه؛ لو كان بيت عائشة هو نفسه الذي دُفن فيه نبي الله (صلى الله عليه وآله) لما صحّ أن ينفي ابن عمر وجود بيت داخل المسجد غير بيت أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فإن البيت الذي دُفن فيه النبي (صلى الله عليه وآله) كان ومازال داخله، وقد أشار إلى ذلك ابن عمر نفسه في رواية أخرى رواها الحاكم بسنده عن جميع بن عمير الليثي قال: «أتيتُ عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما فسألته عن علي رضي الله عنه فانتهرني،

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج 11 ص3 عن النسائي.

ثم قال: ألا أحدثك عن علي؟ هذا بيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد وهذا بيت علي رضي الله عنه».[١]

وأما بيت عائشة فقد كان خارج المسجد وكذا سائر بيوت الأزواج ، و إنما أُدخلت هذه البيوت في المسجد بعد الزيادة فيه، و يدلّ على ذلك ما ذكره النووي إذ قال: «احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كثُرَ المسلمون وامتدّت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها».[٢]

- ومن الأدلة وجود روايات وأحاديث متعددة تفيد بأن ثمة حجرة خاصة للنبي (صلى الله عليه وآله) تختلف عن حُجَر أزواجه وحجرة

(١) مستدرك الحاكم ج 3 ص51

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ج 5 ص14 وقد جعل مدفن النبي (صلى الله عليه وآله) في حجرة عائشة وادّعى أنه أُدخل في المسجد في تلك الزيادة، غير أن ذلك يتنافى مع حديث ابن عمر الذي مرّ عليك والذي نصّ على أن حجرة النبي (صلى الله عليه وآله) التي فيها مدفنه هي داخل المسجد وكذا حجرة علي وفاطمة (عليهما السلام) حصراً، وحلّ الشبهة هو في الآتي حيث ستعرف إن شاء الله تعالى أن الحجرة النبوية شيء وحجرة عائشة شيء آخر، والخلط بينهما هو أساس هذه الشبهة و إن كان الخلط متعمّدا بالأساس لرفع شأن عائشة.

عائشة بالذات، وأن هذه الحجرة كانت ذات جدار قصير وهي التي كانت داخل المسجد وهي التي كان يستقبل فيها الوفود ويجتمع فيها بالناس على انفراد، وكانت بمثابة مكتبه الرسمي إنْ جاز التعبير، أو «البرّاني» كما في المحكية النجفية. وهذه هي الحجرة التي دُفن فيها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وكانت تجاور بيت علي وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهما، وكلاهما داخل المسجد ولهما بابان مقرونان شارعان فيه، فيما بقية الحُجَر كانت خارجه وقد سُدَّت أبوابها لئلّا يلحقها حكم المسجد.

روى البخاري بسنده عن عمرة عن عائشة قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّي من الليل في حجرته، وجدار الحجرة قصير، فرأى الناس شخص النبي صلى الله عليه وسلم فقام أناسٌ يصلّون بصلاته»[١]

لاحظ ههنا أن عائشة نسبت الحجرة هذه إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وحده بقولها: «في حجرته» ولم تقل: في حجرتي أو في حجرة سودة

---

[١] صحيح البخاري ج 1 ص178

أو حفصة أو غيرهنّ من أزواجه، ما يعني أنه كانت له (صلى الله عليه وآله) حجرة خاصة به، وقد كانت في المسجد بدلالة أن الناس كانوا يأتمّون به حينما يقوم للصلاة فيها، ثم لاحظ أن جدار هذه الحجرة كان قصيراً بحيث أن الناس كانوا يتمكّنون من رؤية مَن بداخلها حين يقوم، وهذا بخلاف حجرة عائشة وباقي حجرات الأزواج قطعاً، لأن الغرض منها ستر خلوة النبي (صلى الله عليه وآله) بأزواجه وهو ما يقتضي أن تكون جدرانها عالية ومسقوفة.

وهذا ما أكده ابن رجب الحنبلي في شرحه لهذا الحديث من صحيح البخاري، إذ قال: «ليس المراد حجرة عائشة التي كان يسكن فيها هو وأهله، فإن حُجَر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كانت لها جدرات تحجب مَن كان خارجاً منها أن يرى مَن في داخلها».[١]

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن رجب الحنبلي ج 5 ص154

وروى أحمد بن حنبل والبيهقي عن أنس بن مالك قال: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي ذات ليلة في حجرته، فجاء أُناس فصلّوا بصلاته، فخفّف فدخل البيت ثم خرج».[١]

فلاحظ ههنا أيضاً أن أنساً ما نسب هذه الحجرة إلا إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وحده، ثم لاحظ قوله: «فخفّف فدخل البيت» ومعنى ذلك أن بيوته وبيوت نسائه كانت غير هذه الحجرة الخاصة ومنفصلة عنها.

وما يؤيّد أن هذه الحجرة كانت حجرة خاصة يستقبل بها النبي (صلى الله عليه وآله) الوفود أن بابها الغربي هو المعروف بباب الوفود كما مرّ، وهذا يعني أن هذه الحجرة هي غير حجرة أو مسكن عائشة فإن الوفود لا شأن لها في مسكن خاص يضم النبي (صلى الله عليه وآله) وامرأته! كما أن أحداً من أصحاب السير والمؤرخين لم يذكروا أن لحجرة عائشة باباً يسمى باب الوفود، وإنما ذكروا أن لها باباً واحداً من وجهة

(١) مسند أحمد بن حنبل ج 3 ص103 وسنن البيهقي ج 3 ص11

الشام أي الشمال كما مرّ، ويزيده تأكيداً قول العصامي: «كان باب عائشة مواجه الشام».[١]

هذا وقد روى الكليني بسنده عن الإمام أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) قوله في تحديد مكان الحجرة النبوية الخاصة وبيت علي صلوات الله عليه: «إذا دخلتَ من باب البقيع فبيت علي صلوات الله عليه على يسارك قدر ممرّ عنز من الباب، وهو إلى جانب بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وباباهما جميعاً مقرونان».[٢]

وهذان هما البابان الوحيدان اللذان كانا يفتحان على المسجد بعدما سُدَّت سائر الأبواب كما هو معلوم، حتى لا تكون سائر البيوت بحكم المسجد فيشكل مكوث بل مرور الجنب والحائض فيه شرعاً. وعائشة كانت تحيض وكذا سائر أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) فلذا سُدَّت أبواب بيوتهن، أما الزهراء (صلوات الله عليها) فهي البتول الطاهرة التي نصّت الأحاديث على أنها لم ترَ حمرة قط كما رواه ابن عساكر عن أم

(١)) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي المكي ج 1 ص157

(٢) الكافي للكليني ج 4 ص555

سليم زوجة أبي طلحة الأنصاري أنها قالت: «لم تَرَ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم دماً قطّ في حيض ولا نفاس، وكانت تصبّ عليها من ماء الجنة، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أُسرِيَ به دخل الجنة وأكل من فاكهة الجنة وشرب من ماء الجنة فنزل من ليلته فوقع على خديجة فحملت بفاطمة، فكان حمل فاطمة من ماء الجنة».[١]

وأما النبي والوصي (صلوات الله عليهما وآلهما) فطهارتهما معلومة بالضرورة ولا تؤثر الجنابة فيها لأنهما وأبناءهما المعصومين (صلوات الله عليهم) طاهرون مطهّرون بنص الكتاب العزيز في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.[٢]

وقد جاء الحديث عن رسول الله الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بتأكيد هذا المعنى حينما أمر بسدّ الأبواب إلا باب علي عليه الصلاة والسلام، وذلك ما رواه الترمذي والبيهقي وغيرهما عن أبي سعيد قال: «قال

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ج 40 ص354

(٢) الأحزاب: 34

رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: يا علي؛ لا يحلّ لأحدٍ أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك».[١]

كما روى البيهقي عن أم سلمة (رضوان الله تعالى عليها) أنها قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا إن مسجدي حرام على كل حائض من النساء وكل جنب من الرجال، إلا محمداً وأهل بيته علياً وفاطمة والحسن والحسين».[٢]

واللطيف أن عائشة بنفسها قد شهدت بذلك فقد روى عنها البخاري قولها: «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إني لا أُحِلُّ المسجد لحائضٍ ولا جنبٍ إلا لمحمد وآل محمد».[٣]

وهذا ما يعضّد أن مسكن عائشة كان خارج المسجد لا داخله لأنها كانت تحيض إجماعاً فيشكل دخول مسكنها فيه، و إذ ذاك لا يكون

---

(١) سنن الترمذي ج 5 ص303 وسنن البيهقي ج 7 ص66

(٢) سنن البيهقي ج 7 ص65

(٣) التاريخ الكبير للبخاري ج 2 ص67

مسكنها هو نفسه الحجرة النبوية الشريفة لأنها كانت داخل المسجد كما مرّ.

وهذه هي حصيلة ما تقدّم من أدلة تثبت أن هناك حجرتان مختلفتان، إحداهما هي الحجرة النبوية الشريفة التي دُفِن فيها سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، والأخرى هي التي كانت تسكن فيها عائشة. إلا أن بعض المخالفين كمالك بن أنس حاول أن يتنطّع ويتفيْقه للحفاظ على أكذوبة أن النبي (صلى الله عليه وآله) دُفن في حجرة عائشة، فزعم أن الحجرتيْن كانتا أصلاً حجرة واحدة ثم تم تقسيمها إلى حجرتيْن قائلا: «قُسِّمَ بيت عائشة باثنين: قسمٌ كان فيه القبر، وقسمٌ كان تكون فيه عائشة، وبينهما حائط»![١]

ولا يخفى أنها محاولة فاشلة ومعالجة ركيكة؛ إذ قد مرّ صريحاً أن ثمة حجرة كانت خاصة للنبي (صلى الله عليه وآله) إبّان حياته الشريفة، وأنها كانت ذات جدار قصير يُرى مَن بداخلها بحيث أن المسلمين صلّوا بصلاته حين قام فيها، وأنها كانت تقع داخل المسجد فيما حجرة عائشة

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص294

وبقية الأزواج خارجه، فكيف زعم مالك ما زعمه ومن أين جاء به؟! ولِمَ لا يقول بأن الحجرة النبوية هي التي ضُمَّت لاحقاً إلى حجرة عائشة المجاورة لها شرقاً وغلب عليهما جميعاً اسم «حجرة عائشة» عرفاً، وهو الأقرب بالنظر الدقيق إلى تلك الأدلة التي فرزت بشكل واضح بين الحجرتين زمان حياة النبي صلى الله عليه وآله؟!

وحيث أن وضع اختلاف الحجرتين والتغاير بينهما كان - بمقتضى تلك الأدلة - سابقاً على ما ادّعاه من تقسيم حجرة عائشة إلى قسمين بحائط؛ فإن الوضع التالي معناه أن عائشة قامت بالاستيلاء على الحجرة النبوية الشريفة وضمّها إلى حجرتها مستقوية بسلطة أبيها وصاحبه عمر حين استوليا على مقاليد الحكم!

إن هذه هي الحقيقة التي قفزت عليها عائشة، حين ادّعت أن النبي (صلى الله عليه وآله) دُفِن في «حجرتها» فأنالت نفسها بذلك شرفاً مكذوباً، وتبعها عليه أتباعها وأنصارها كعادتهم في الانقياد الأعمى لها! أما الذين كانوا عارفين بالحقيقة كمالك بن أنس فقد اجتهدوا بدورهم في رقع ما انخرق ورتق ما انفتق!

هذا هو تمام الجانب الأول، وقد عرفت فيه أن مدفن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن في حجرة عائشة.

وأما الجانب الثاني؛ فنقول فيه إن عائشة لم تمتلك بحكم الشرع لا الحجرة النبوية الشريفة ولا حتى الحجرة التي كانت تسكن فيها، وعليه تكون تصرّفاتها فيهما من الدمج و إدخال أبيها وصاحبه عمر للدفن فيها وما إلى ذلك تصرفات غصبية.

وبيان ذلك أنه لا طريق للحكم بملكية عائشة للحجرة إلا بواحدٍ من اثنين، إما أن يُقال بأنها قد ورثت الحجرة من زوجها النبي صلى الله عليه وآله، و إما أن يُقال بأنه (صلى الله عليه وآله) قد ملّكها إياها في حياته.

أما القول الأول فمردود بأنه على زعمها وزعم أبيها وجماعتهما أن «النبي لا يورَث وكل ما تركه صدقة»[1] وقد كانت هذه هي الحجة

---

[1] روى البخاري في صحيحه ج 4 ص42 عن عائشة قالت: «إن فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله مما أفاء الله عليه. فقال لها أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا نورَث! ما تركنا صدقة! فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت».

المدّعاة التي بموجبها حرم أبو بكر (لعنه الله) الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) من حقّها في فدك والعوالي كما هو معلوم، فكيف ورثت عائشة هذه الحجرة إذن؟!

ولو أعرضنا عن هذا وأخذنا بالحق في أن النبي (صلى الله عليه وآله) يورَث، فإن عائشة لا تتملّك بهذا حجرتها أيضاً، فإن الزوجة لا ترث من عين البيت شرعاً و إنما ترث من قيمته، ولو تنزّلنا وقلنا أنها ترث من العين، فإن نصيب عائشة من الحجرة لا يكون إلا شيئاً يسيراً لا يتعدّى شبراً في شبر، وذلك لأن النبي (صلى الله عليه وآله) استشهد وقد خلّف تسع زوجات نصيبهنّ جميعاً هو الثُّمْن لمكان ابنته الزهراء (صلى الله عليها) التي ترث الباقي، فتتشاطر الزوجات جميعاً في الثُّمْن ويقسّم بينهن، فيكون نصيب الواحدة منهنّ تسعاً من الثمن ليس إلا، فكيف تملّكت عائشة الكلّ وتصرّفت فيه فدفنت أباها وصاحبه غصباً؟!

ولنعم ما قال الشاعر[1] حين هجاها بقوله:

أَيــا بِنْتَ أَبي بَكْرٍ	لا كانَ وَلا كُنْــتِ!
تَجَمَّلْــتِ تَبَغَّلْــتِ	وَ إنْ عِشْتِ تَفَيَّلْتِ!
لَكِ التِّسْعُ مِنَ الثُّمْنِ	وَللكُلِّ تَمَلَّــكْــتِ!

وأما القول الثاني بأن الحجرة كانت ملكاً لها فهو الذي أطلقته عائشة بقولها يوم قادت حملة التصدّي لدفن الإمام المظلوم السبط الحسن المجتبى (صلوات الله عليه) عند جدّه صلى الله عليه وآله! فقالت حينئذ وهي راكبة على بغلها: «البيت بيتي ولا آذن أن يُدفن فيه أحد»![2] وفي رواية أخرى: «هذا الأمر لا يكون أبداً! يُدفن (الحسن) ببقيع الغرقد ولا يكون لهم رابعاً، والله إنه لبيتي أعطانيه رسول الله في حياته، وما دُفن فيه عمر وهو خليفة إلا بأمري، وما أثر علي عندنا بحسن»![3]

---

(١) الخرائج والجرائح للقطب الراوندي ج 1 ص243، والشعر لابن الحجّاج البغدادي.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ج 3 ص60 وتاريخ اليعقوبي ج 2 ص214 وتاريخ أبي الفداء ج 1 ص284

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ج 13 ص293

وهذا صرف ادّعاء منها، لم يرد في خبر آخر عن غيرها، ولم تقم فيه حجة، ولم يشهد تمليكها أحد من المسلمين. ولو قُبِل هذا الادّعاء لكان الواجب أن يقبل أبو بكر بمطالبة الزهراء (صلوات الله عليها) بفدك، لأنها (صلوات الله عليها) احتجّت أيضاً بأن النبي (صلى الله عليه وآله) قد ملّكها إياها في حياته. فما بال ابن أبي قحافة قَبِلَ بادعاء ابنته ولم يقبل قول سيدة نساء العالمين (صلوات الله عليها) مع أن العدول قد شهدوا لها في تملكها لأرض فدك في حياة النبي (صلى الله عليه وآله) ومع قيام أمارة اليد على ذلك أيضاً إذ كان فيها وكيلها؟! هل أن باء عائشة تجرّ وباء فاطمة (عليها السلام) لا تجرّ؟!

إن قيل: قد أقسمت عائشة على أن البيت بيتها ولا يمكن أن تكون كاذبة!

قلنا: بلى يمكن! بدليل استحلالها الكذب على النبي (صلى الله عليه وآله) في حديث المغافير، وبدليل تكذيبه (صلى الله عليه وآله) إياها رغم

قسمها في الحديث الذي ردّ فيه شهادة أبيها لها بالإيمان بقوله (صلى الله عليه وآله) له: «وما يدريك أَ مؤمنة هي أم لا»؟!(١)

ثم إن أحاديث عائشة هذه معارَضة بأحاديث أخرى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيها النصّ على ملكيته لبيته الذي دُفِن فيه بقوله: «بيتي»، وهي أصح من أحاديث عائشة بلا خلاف، ومنها قوله صلى الله عليه وآله: «إذا غسّلتموني وكفّنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري».(٢) ومنها قوله صلى الله عليه وآله: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة».(٣) فلا مناص من ترجيح هذه الأحاديث على تلك فيكون البيت الذي دُفن فيه النبي (صلى الله عليه وآله) باقياً على ملكيته له ولم ينتقل إلى ملكية عائشة بحال.

(١) راجع ص270 من كتاب الفاحشة.

(٢) تاريخ الطبري ج 3 ص193

(٣) صحيح البخاري ج 2 ص57 وصحيح مسلم ج 4 ص123

إن قيل: فإن في بعض الأحاديث نسبة البيت إليها كحديث: «قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: ههنا الفتنة! هـهنا الفتنة! هـهنا الفتنة! مـن حيث يـطلع قـرن الشـيطان»![١] وحديث: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة فقال: رأس الكفر من ههنا! من حيث يطلع قرن الشيطان»![٢]

قلنا: إن التعبير بمسكن عائشة وبيت عائشة لم يصدر من النبي (صلى الله عليه وآله) وإنما صدر من الراوي وهو عبد الله بن عمر، والتعبير بالمسكن ظاهر في أنها إنما تسكن هذا البيت بحكم الزوجية لا بحكم الملكية، فافهم.

إن قيل: فإن كتاب الله نصّ على أن البيوت ملكٌ لأزواج النبي (صلى الله عليه وآله) وذلك قوله عز وجل: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾.[٣]

(١) صحيح البخاري ج 4 ص100 وغيره كثير.

(٢) صحيح مسلم ج 8 ص180 وغيره كثير.

(٣) الأحزاب: 34

قلنا: قد نصّ كتاب الله أيضاً على أن البيوت ملك للنبي (صلى الله عليه وآله) بقوله عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾.[١] فيكون مقتضى الجمع هو ما تقرّر من أنها ملك للنبي (صلى الله عليها وآله) في الحقيقة وأما إضافتها إلى أزواجه فليس إلا من باب أنهنّ يسكُنَّ فيها بحكم الزوجية، فإن الإضافة في اللغة تكون لأدنى ملابسة، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾[٢] حيث دلّت على جواز إخراج النساء من البيوت إنْ أتيْن بفاحشة مبيِّنة، مع أن الآية أضافت البيوت إليهن في قوله: «مِن بُيُوتِهِنَّ» وهي إضافة بمعنى السكنى بحكم الزوجية ليس إلا، ولا دلالة فيها على أن البيوت ملكٌ لهنّ، فكذلك القول في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.

هذا وقد طلّق النبي (صلى الله عليه وآله) نساءً من أزواجه ولم تحتفظ إحداهن بالحجرة التي كانت تسكن فيها، فلو كانت دعوى أن

(١) الأحزاب: 54

(٢) الطلاق: 2

حجراتهن مملوكة لهنّ صحيحة لكان اللازم أن يسجّل التاريخ احتفاظهنّ بها.

والحاصل أن الحجرة التي دُفِنَ فيها النبي (صلى الله عليه وآله) لم تكن حجرة عائشة، وحتى تلك التي كانت تسكن فيها لم تكن ملكاً لها وإنما نصيبها من ثمنها من جهة الميراث ليس سوى التسع من الثُّمْن، فانظر أية جريمة أقدمت عليها عائشة حين صادرت الحجرة النبوية وضمّتها إلى الحجرة التي كانت تسكن فيها والتي هي أصلاً غير مملوكة لها! وانظر أية جناية فعلتها عائشة حين أدخلت في تلك الحجرة جثة أباها وجثة صاحبه عمر ليدفنان غصباً إلى جوار رسول الله (صلى الله عليه وآله) دونما استئذان من الورثة الشرعيين! وانظر أية خسّة وسفالة ارتكبتها عائشة حين منعت جنازة سبط رسول الله من أن يُدفن إلى جواره وتصدّت لحرب سبطه الآخر حين أراد دفن أخيه هناك مع أنهما صاحبا الحق الشرعي في تلك الحجرة من جهة الميراث!

ولا عجب أن تكون عائشة حاقدة ناقمة على سبطي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيديَّ شباب أهل الجنة، وقد قال فيها الإمام الحسن

عليه السلام: «سيصيبني من الحميراء ما يعلم الله والناس صنيعها وعداوتها لله ولرسوله وعداوتها لنا أهل البيت»![1] وقال الإمام الحسين (عليه السلام) في وجهها منكراً استيلائها على الحجرة النبوية الشريفة ودفنها لأبيها وصاحبه فيها: «قديماً هتكتِ أنتِ وأبوكِ حجاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأدخلتِ عليه ببيته مَن لا يحبُّ قُرْبه! و إن الله سائلكِ عن ذلك يا عائشة»![2]

وهذا قد وملّكت عائشة الحجرة النبوية المقدسة لابن أختها عبد الله بن الزبير حين أوصت بها إليه، تمليك مَن لا يملك إلى من لا يستحق! فقد روى ابن عساكر عن هشام ابن عروة قال: «كان عبد الله بن الزبير يعتد بمكرمات لا يعتد بها أحد من الناس، أوصت له عائشة بحجرتها! واشترى حجرة سودة»![3]

وهكذا بدلاً من أن تتوب عائشة وتتراجع عن غصبها للحجرة النبوية المقدسة؛ نراها توصي بها لابن الزبير وتملّكه إياها مضيّاً في الإثم

(١) الكافي للكليني ج 1 ص300

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تاريخ دمشق ج 28 ص189، وتكون سودة بذلك أيضاً مذمومة إذ باعت ما لا تملك طلباً للمال.

وإصراراً على الحرام! فتجعل مدفن النبي (صلى الله عليه وآله) في يد هذا المشؤوم الناصبي! فيما الورثة الشرعيون من أبناء رسول الله (صلى الله عليه وآله) محرومون من حقّهم في حجرة جدّهم ومسلوبو النظارة على مرقده الشريف! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



هذا الكتيب مقتبس من كتاب (الفاحشة الوجه الآخر لعائشة) للشيخ الحبيب ويتضمن تفاصيل اغتيال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بالسم من قبل عائشة وحفصة وأبويهما لعنهم الله.

ومن الله نسأل القبول.

